موسوعة القيم ومكارم الأخلاق العربية والإسلامية

(٢٤)

الحلم

الباحث الرئيسي ورئيس الفريق العلمي
أ.د. مرزوق بن صنيتان بن تنباك

www.mtenback.com

دار رواح للنشر والتوزيع

ح مرزوق بن صنيتان بن تنباك ، ١٤٢١ هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

موسوعة القيم ومكارم الأخلاق العربية والإسلامية/مرزوق بن صنيتان بن تنباك ... [أخ]. الرياض.

٥٢ ج؛ ١٧×٢٤ سم

ردمك : ٤-١٨٥-٣٨-٩٩٦٠ (مجموعة)

٥-٢٠٩-٣٨-٩٩٦٠ (ج ٢٤)

١- الأدب العربي - موسوعات أ- ابن تنباك ، مرزوق بن صنيتان (م . مشارك)

ديوي ٨١٠,٣ ٢١/٢٠٧٨

رقم الإيداع : ٢١/٢٠٧٨

ردمك : ٤-١٨٥-٣٨-٩٩٦٠ (مجموعة)

٥-٢٠٩-٣٨-٩٩٦٠ (ج ٢٤)

موقع الدكتور مرزوق بن تنباك
www.mtenback.com

www.mtenback.com

فهرس المحتويات

الموضوع	الصفحة
توطئة	٥
الحلم لغةً	٧
الحلم اصطلاحًا	٨
الحلم في الإرث العربي الإسلامي	٩
الحلم في الأمثال	١٦
الحلم في الشعر	١٩
حقيقة الحلم وعناصره ومقوماته	٤٠
الحلم والتحلّم	٥٥
رأي العرب في الحلم	٦٠
الحلم في رأي بعض المستشرقين	٦٨
الآثار الاجتماعية للحلم	٧١
الفهارس	٧٩

موقع الدكتور مرزوق بن تنباك
www.mtenback.com

www.mtenback.com

فَإِذَا رُزِقَتْ خَلِيقَةً مَحْمُودَةً فَقَدِ اصْطَفَاكَ مُقَسِّمُ الأَرْزَاقِ

فَالنَّاسُ هَذَا حَظُّهُ مَالٌ وَذَا عِلْمٌ وَذَاكَ مَكَارِمُ الأَخْلَاقِ

حَافِظ إِبْرَاهِيم

موقع الدكتور مرزوق بن تنباك
www.mtenback.com

www.mtenback.com

توطئة:

الحلم فضيلة إنسانية سامية، تحلّى بها العرب منذ القدم، فامتدحها شعراؤهم وشدا بها أدباؤهم، ثم جاء الإسلام فعدّها من مكارم الأخلاق، وحض عليها وحث على التمسك بها. وهي قيمة إنسانية وفضيلة اجتماعية يحسن فيها الإنسان إلى نفسه فيحمد ويحسن فيها إلى غيره فيحمد أيضًا، ومن هنا كانت أحد أسس القيم ومكارم الأخلاق التي اتصف بها العرب ومجدّوا أربابها.

ويكفي الحلم فضلاً أن الله تعالى وصف نفسه به، فمن أسمائه الحسنى: الحليم، ووصف بالحلم بعض رسله كإبراهيم عليه السلام. والحلم من أخلاق الملوك لأنهم مطالبون به. فالحلم إذن من أشرف الأخلاق وأكرمها، وأعلى مراتب الكمال وأعظمها ورأس خصال المروءة وسُلّمُها، يبلغ به صاحبه ذروة المجد، ويعتلي سنام الشرف، ويصون به عرضه، ويعصم نفسه عن مواضع الندم ومواطن الزلل، فتكثر به الأنصار وتندفع به الأشرار. ولاشك أن من غرس شجر الحلم جنى ثمر السلم، فيعيش في أمان ويعيش من حوله في سلام.

ويجد الباحث صعوبة بالغة في فصل الحلم عن كثير من الفضائل ومكارم الأخلاق التي حفل بها تراث العرب؛ مثل العفو والصفح والتسامح والصبر والأناة وكظم الغيظ وضبط النفس وغيرها من الشيم التي هي أقرب إلى أن تكون فروعًا للحلم أو مقومات له أو بواعث عليه، إن لم تكن ثمارًا أو آثارًا أو نتائج له. وجماع القول هو أن الحلم اسم جامع لكثير من الفضائل أو هو مجموع مركب من الخصال التي تقدم ذكرها، وهي التي إذا اجتمعت في شخص فهو الحليم المستحق للتقدمة الخليق بالسيادة.

ولا يستطيع منصف أن يحصر فضيلة الحلم في أمة العرب دون سواها من الأمم؛ لأن الحلم خُلُق من أخلاق البشر وخالق البشر واحد. ولكن من الإنصاف أن نقول إن احتفال العرب بهذه الفضيلة أكبر من احتفال غيرهم بها، وقد ضربوا في الحلم

www.mtenback.com

والتحلّم أمثلة فريدة رائعة قلّ أن يوجد لها نظير عند سائر الأمم. وكانوا على أمر مشهور من غزارة العقل ووفورته، ومعلوم أنّ وفور العقل يتبعه تمام التأثير وقوة الأثر. والحلم من آثار العقل وهو غير منفكّ عنه، لذلك كان العرب أقرب للحلم من غيرهم؛ فاشتهروا بكل ما يتم به الحلم من إمساك النفس عن هيجان الغضب أو إمساكها عن قضاء الوطر وهو التحلُّم. ومن نظر في تراثهم المنظوم والمنثور وتأمل أحوالهم الاجتماعية تبين له أنهم كانوا يحرمون الظلم ويتحالفون على ذلك في جاهليتهم قبل إسلامهم كما عُرف ذلك عنهم في حلف الفضول، فلما جاء الإسلام صار الكف عن الظلم دينًا وعقيدة. وكانوا يتناهون عن الفحشاء والمنكر وخير دليل على ذلك لغتهم التي تكني عن كل ما يكون التصريح به قبيحًا، تجافيًا عن التفوه بألفاظ تأباها مروءتهم.

وكانت لهم أمثال وأقوال تجري مجراها إذا تبادلوها بينهم كفتهم عن كل أذى. فكانوا عند التفوّق والانتصار والغلبة يقولون: إذا مَلَكْتَ فَأسْجِحْ. وعند اللجاج والمشادة يقولون: إذا تلاحت الخصوم تسافهت الحلوم.

أما ما كان بينهم من الحروب والتخاصم والمنازعات فهي محاماة عن الشرف وصيانة للعز ومحافظة على المجد. وهم يرون أنّ ذل المرء لعشيرته شرف وتواضع، فلذلك يصبرون عليه لما يرجون من حسن العاقبة.

ويتناول هذا البحث فضيلة الحلم عند العرب في الجاهلية والإسلام وآثارها الاجتماعية الملحوظة على الأجيال سابقها ولاحقها، فيبسط معنى الحلم في كلام العرب مستأنسًا بمترادفاته اللفظية ومشتركاته، مستعينًا بما يشابهه أو يدور في فلكه من القيم، مستشهدًا في كل ذلك بما ورد في القرآن والسنة النبوية والأثر، وبما صاغته قرائح شعراء العرب وأدبائهم، وخلاصة أقوال حكمائهم وعلمائهم وتجارب حلمائهم. مستخلصًا من كل ما سبق مقومات الحلم وعناصره عندهم وموقفهم من هذه الفضيلة وآثارها الاجتماعية.

www.mtenback.com

الحلم لغة:

تفرق المعاجم بين معنيين للحلم؛ أحدهما الحلم بمعنى العقل، والآخر الحلم بمعنى الفضيلة الإنسانية التي قوامها توجيه العقل إلى تحصيل خصال الخير والمروءة، كالصبر والأناة والعفو وما في معناها. والحِلم بكسر الحاء غير الحُلم بضم الحاء.

أما الحلم بكسر الحاء فهو عند ابن منظور: الأناة والعقل، وجمعه أحلام وحلوم، وفي التنزيل العزيز: ﴿أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَحْلَامُهُمْ بِهَذَا﴾[1]. وفي حديث النبي ﷺ في صلاة الجماعة: «لِيَلِيَني منكم أولو الأحلام والنُّهى»[2]، أي: ذوو الألباب والعقول، واحدها حِلم، بالكسر وكأنه من الحلم: الأناة والتثبت في الأمور وذلك من شأن العقلاء. قال جرير:

هَلْ مِنْ حُلُومٍ لأَقْوَامٍ فَتُنْذِرَهُمْ ... مَا جَرَّبَ النَّاسُ مِنْ عَضِّي وَتَضْرِيْسِي

وأحلام القوم: حلماؤهم، ورجل حليم من قوم أحلام وحلماء. وحُلم الرجل يحلُم حلمًا: إذا صار حليمًا. والتحلُّم: تكلّف الحلم، قال الشاعر[3]:

تَحَلَّمْ عَنِ الأَدْنَيْنَ – وَاسْتَبْقِ وُدَّهُمْ ... وَلَنْ تَسْتَطِيْعَ الحِلْمَ حَتَّى تَحَلَّمَا

وأما الحُلْم بضم الحاء فهو ما يراه النائم. قال صاحب القاموس: حلّمه تحليمًا وحِلاّمًا ككذابًا جعله حليمًا أو أمره بالحلم. وأحلمت المرأة: ولدت الحلماء[4].

والحليم من صفة الله عز وجلّ، ومعناه: الصبور، قال ابن منظور: معناه الذي لا يستخفّه عصيان العصاة ولا يستفزه الغضب عليهم، ولكنه جعل لكل شيء مقدارًا فهو مُنْتهٍ إليه... قال تعالى: ﴿إِنَّكَ لأَنْتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ﴾[5].

---

[1] سورة الطور: آية ٣٢.

[2] أخرجه أبو داود في كتاب الصلاة ٥٩ والنسائي في كتاب الصلاة ٥٤.

[3] ابن منظور: لسان العرب، بيروت، دار صادر، (١٩٩٢)، (مادة: حلم)

[4] الفيروز آبادي: القاموس المحيط، بيروت دار الجيل، (١٩٥٢). (حلم)

[5] سورة هود: ٨٧.

www.mtenback.com

وقال صاحب البستان: الحلم نقيض السفه، وهو العقل والأنـــاة والتثبـــت في الأمور وضبط النفس والطبع عن الهيجان.. وليس الحلم في الحقيقة العقل لكن فســـروه بذلك لكونه من مسببات العقل[٦]. وفي أقرب الموارد: الحلم الأناة وضده الطيش[٧].

الحلم اصطلاحًا:

ويتضح معنى الحلم حين يقرن بما في معناه من الألفاظ المرادفة أو المقاربة لـــه في المعنى؛ كالأناة والوقار والتثبّت والصبر وكظم الغيظ وضبط النفس والرفـــق والعفـــو والصفح والتسامح وترك الغضب، حتى تكاد تجزم بأن هذه الألفاظ على اختلافها هي الحلم في مجموعها أو أنها عناصره أو من آثاره ونتائجه، فكأن الحلم مركب من جميـــع هذه العناصر. ويزداد معنى الحلم وضوحًا حين يقابل بالألفاظ المضادة لـــه كالســـفه والجهل والطيش وخفة العقل والعجلة والحمق وضعف الرأي ونحو ذلك. فالأناة هـــي الحلم و الوقار، والسفه هو خفة الحلم أو نقيض الحلم، والحليم الرشيد هـــو العـــاقل، والعقل والرشد ضد الجهل، فكأن بعض هذه الألفاظ يشرح بعضًا.

فالحلم إذن هو الرزانة التي لا يستفزها الطيش ولا تنقاد لغضـــب النفـــس ولا تستجيب لثورة العاطفة وهو خلقٌ يمنح الشخصية توازنًا ذاتيًا وموضوعيًـــا، فرديًـــا، وجماعيًا، فتتصف بالقدرة على الفعل والضبط وتنأى عن ردود الأفعال والاســـتجابة الانفعالية للمثيرات الخارجية خصوصًا ما يثير الهيجان ويخرج بالمرء عن إحكام ســـلطان العقل والصبر على السلوك وقد كان الحلم من أكبر دواعي بناء الشخصية الناضجـــة المؤهلة للنجاح في التعامل مع الناس على اختلاف طبقاتهم وتقدير الأمـــور بقدرهـــا ووزن التصرفات التي تقتضيها كل حالة على حدة.

---

[٦] المخزنجي، محمد: البستان، الكويت، دار سعاد الصباح، (١٩٩٢).

[٧] الشرتوني، سعيد الخوري: أقرب الموارد، بيروت، مكتبة لبنان (١٩٩٢).

www.mtenback.com

الحلم في الإرث العربي الإسلامي:

لم ترد كلمة الحلم في القرآن صريحة، وإنما وردت في صورة الجمع في قوله تعالى: ﴿أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَحْلَامُهُمْ بِهَذَا أَمْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ﴾[٨]. وهي هنا بمعنى العقول، ولكن الحليم من أسماء الله الحسنى وقد وصف الله تعالى نفسه بالحلم في أحد عشر موضعًا من كتابه[٩]، وأَرْدَفَهَا بصفات أخرى فوصف نفسه بأنه (غفور حليم) في ستة مواضع، وأنه (عليم حليم) في ثلاثة مواضع، وأنه (غني حليم) و (شكور حليم) في بقية المواضع؛ فكان ربط الحلم بالمغفرة هو الغالب. وقال الحسن البصري: ما نعت الله الأنبياء نعتًا أقل مما نعتهم به من الحلم، فقال تعالى: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُنِيبٌ﴾[١٠]. يعني أن الحلم في الناس عزيز[١١].

وقد وصف الله نبيه إبراهيم عليه السلام بالحلم مرتين؛ في الآية المتقدمة من سورة هود، وفي قوله تعالى: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ﴾[١٢]. وبشّر نبيه إسحاق فقال: ﴿فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ﴾[١٣]. وجاءت لفظة الحليم في سياق السخرية على لسان قوم هود، قال تعالى: ﴿إِنَّكَ لَأَنْتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ﴾[١٤].

---

[٨] سورة الطور: ٣٢.

[٩] في الآيات: البقرة: ٢٢٥، ٢٣٥، ٢٦٣؛ آل عمران: ١٥٥؛ النساء: ١٢؛ المائدة: ١٠١؛ الإسراء: ٤٤؛ الحج: ٥٨؛ الأحزاب: ٥١؛ فاطر: ٤١؛ التغابن: ١٧.

[١٠] سورة هود: ٧٥.

[١١] الميداني، أبوالفضل، أحمد بن محمد: مجمع الأمثال، مطبعة السنة المحمدية، (١٩٥٥م) ج١، ص٢١١.

[١٢] سورة التوبة: ١١٤.

[١٣] سورة الصافات: ١٠١.

[١٤] سورة هود: ٨٧.

www.mtenback.com

قال رجاء بن أبي سلمة: الحلم أرفع من العقل. قيل: و لم ذاك؟ قال: لأن الله تعالى تسمى بالحلم و لم يتسمّ بالعقل[١٥]. وهذا قول جديرٌ بالنظر والفائدة.

وقلة ورود لفظ الحلم في القرآن الكريم لا تدلُّ على أن الله لم يأمر بالتخلق به، بل إنّ في وصف الله تعالى نفسه وبعض رسله بالحلم لأكبر دليل على أنه من الفضائل التي يرضاها لعباده.

والحلم من مكارم الأخلاق، ولما كان الله قد بعث رسوله محمدًا ﷺ متممًّا لمكارم الأخلاق، كان من الطبيعي أن تحفل السنة المطهرة بكثير من الأحاديث التي تمجد الحلم وتثني على الحلماء. وقد صنّف ابن أبي الدنيا رسالة ضافية في الحلم ضمنها طائفة صالحة من أحاديث رسول الله ﷺ في الحلم، فروى بإسناده أنه كان من دعائه: «اللهم أغنني بالعلم، وزيني بالحلم، وأكرمني بالتقوى وجملني بالعافية». فجعل الحلم زينًا للإنسان. ودعا في حديث آخر فقال: «اللهم لا يدركني ولا أدركه زمان لا يتبعون فيه العليم ولا يستحيون فيه من الحليم..»[١٦]. وعنه أنه قال: ابتغوا الرفعة عند الله، قالوا: وما هي يارسول الله؟ قال: تصل من قطعك وتعطي من حرمك وتحلم عمن جهل عليك[١٧]. ومثله الحديث الآخر: «أربع يشرف بهن الإنسان يوم القيامة: أن تصل من قطعك وتعطي من حرمك وتعفو عمن ظلمك وتحلم عمن جهل عليك»[١٨]. وقال أيضًا: خمس من سنن المرسلين: منهن الحلم[١٩].

---

[١٥] ابن أبي الدنيا، الحافظ عبد الله بن محمد القرشي، أبو بكر: كتاب الحلم، القاهرة، مكتبة القرآن، (١٩٨٦م)، ص٢٩.

[١٦] ابن أبي الدنيا: الحلم، ص١٩٠.

[١٧] رواه الطبراني والبزار.

[١٨] ابن أبي الدنيا: الحلم، ص٢٢.

[١٩] المصدر السابق نفسه.

www.mtenback.com

وبالحلم يستطيع المسلم أن يبلغ درجات تحتاج إلى شيء من الجهد والرياضة لبلوغها، ففي الحديث: «إن الرجل ليدرك بالحلم درجة الصائم القائم وإنه ليكتب جارًا وما يملك إلا أهل بيته»[٢٠].

وقرن الحلم بالعلم في كثير من الأحاديث فجعله زينة للعلماء، فقال هنا: «زين العلم حلم أهله»[٢١]. وقال أيضًا: «ما أوى شيء إلى شيء أزين من حلم إلى علم» وقال أيضًا: «اطلبوا العلم واطلبوا مع العلم السكينة والحلم»[٢٢]. وفي هذا الحديث إشارة واضحة إلى آفة من آفات الحلم وناقض من نواقضه وهو الكبر الذي يهيج الغضب ويمنع من الحلم واللين. ولهذا جاء الحض على اجتناب الغضب في كثير من الأحاديث كقوله ﷺ: «أشدكم من غلب نفسه عند الغضب وأحلمكم من عفا عند المقدرة»[٢٣].

ومن الأحاديث التي ربطت بين الحلم والعلم قوله: «العلم خليل المؤمن والحلم وزيره والعقل دليله والعمل قيّمه والرفق والده واللين أخوه والصبر أمير جنوده»[٢٤].

وفي حديث عطاء قال: «ثلاث من لم تكن فيه واحدة منهن فلا يَعْتَدَّنَّ بشيء من علمه: تقوى تحجزه عن معاصي الله، وحلم يكف به السفيه، وخلق يعيش به في الناس»[٢٥].

---

[٢٠] عزاه السيوطي (جمع الجوامع ١٩٨/١) لأبي نعيم في الحلية.

[٢١] رواه الديلمي في المقدمة: ٤٨.

[٢٢] الغزالي: الإحياء، ج٣، ص١٧٥.

[٢٣] المصدر السابق، ج٣، ص١٧٨.

[٢٤] المصدر السابق، ج٣، ص١٨٦.

[٢٥] ابن أبي الدنيا: الحلم، ص٤٩.

www.mtenback.com

وهذا الحديث يعلي من شأن الحلم في الحياة الاجتماعية ويجعله إزاء التقوى والخلق الحسن، وكلها أمور لا يكون العيش بين الناس إلا بها؛ لذلك جاءت البشارة في حديث عمرو بن شعيب قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا جمع الله الخلائق يوم القيامة ينادي منادٍ أهل الفضل فيقوم ناس، وهم يسير، فينطلقون سراعًا إلى الجنة فتتلقاهم الملائكة فيقولون لهم: إنا نراكم سراعًا إلى الجنة فيقولون: نحن أهل الفضل، فيقولون لهم: وما كان فضلكم؟ فيعدون من فضلهم الحلم، فيقال لهم: ادخلوا الجنة فنعم أجر العاملين»[٢٦].

كما أثرت عن السلف أقوال في الحلم جرت مجرى الأمثال والحكم، من ذلك أن رجلاً قال لأبي بكر رضي الله عنه: والله لأسبنك سبًا يدخل القبر معك؛ فقال أبوبكر: «معك يدخل لا معي»[٢٧]. وقال عمر رضي الله عنه: «تعلموا العلم وتعلموا للعلم السكينة والحلم»[٢٨].

وقال علي رضي الله عنه: «أول عوض الحليم من حلمه أن الناس كلهم أعوانه على الجاهل»[٢٩]. وفي عبارة أخرى: حلمك على السفيه يكثر أنصارك عليه. وقال أيضًا: «من لانت كلمته وجبت محبته»[٣٠] ومن أقواله أيضًا: «ليس الخير أن يكثر مالك وولدك ولكن الخير أن يكثر علمك ويعظم حلمك، وألا تباهي الناس بعبادة الله»[٣١].

---

[٢٦] ابن ماجة: سنن ابن ماجة، برقم ٤٢٩١.

[٢٧] ابن عبدربه، أبو عمر أحمد بن محمد: العقد الفريد، دار الكتاب العربي، بيروت، (١٩٨٣م)، ج٢، ص٢٧٥.

[٢٨] ابن قتيبة، أبو محمد عبدالله: عيون الأخبار، القاهرة، دار الكتب المصرية، (١٩٣٠)، ج٢، ص١٦٠.

[٢٩] ابن أبي الدنيا: الحلم ص٢٧.

[٣٠] ابن عبد ربه: العقد الفريد ج٢، ص٢٧٩.

[٣١] ابن قتيبة: عيون الأخبار ج٢، ص٢٨٢.

www.mtenback.com

وسب رجل ابن عباس رضي الله عنهما، فلما فرغ قال: يا عكرمة هل للرجل حاجة فنقضيها؟ فنكس الرجل رأسه واستحى. وابن عباس هو القائل: الحلم من الأخلاق التي ترضي الله، وهو يجمع لصاحبه شرف الدنيا والآخرة، ألم تسمعوا الله تعالى وصف خليله بالحلم فقال: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُنِيبٌ﴾[٣٢].

وشتم رجل أباذر فقال: «يا هذا لا تغرق في شتمنا، ودع للصلح موضعًا، فإنا لا نكافئ من عصا الله فينا بأكثر من أن نطيع الله فيه»[٣٣].

وقال معاوية: «لا يبلغ الرجل مبلغ الرأي حتى يغلب حلمه جهله وصبره شهوته ولا يبلغ ذلك إلا بقوة الحلم»[٣٤]. ومعاوية من مشاهير الحلماء الذين عرف حلمهم وأخذ عنهم، وقد ضرب بالحلم مثلاً جعله أحد من يشار إليهم إذا ذكر الحلماء من العرب.

وقال الحسن البصري: «المؤمن حليم لا يجهل وإن جُهِل عليه حَلِم، لا يظلم وإن ظُلِم غفر، لا يقطع وإن قُطِع وصل، لا يبخل وإن بُخِل عليه صبر»[٣٥]. وقال أيضًا: «ما بعث الله نبيًا إلى قوم إلا أمره بالحلم». وقال: «اطلبوا العلم وزينوه بالوقار والحلم»[٣٦].

وقال أبو الدرداء: «السؤدد اصطناع العشيرة واحتمال الجريرة، والشرف كف الأذى وبذل الندى»[٣٧]. وقال رجل لعمرو بن العاص: والله لأتفرغنّ لك، قال:

---

[٣٢] ابن أبي الدنيا: الحلم ٥١. والآية من سورة هود: ٧٥.

[٣٣] ابن عبد ربه: العقد الفريد ج٢، ص٢٧٩.

[٣٤] ابن أبي الدنيا: الحلم، ص٥٨.

[٣٥] المصدر السابق، ص٥٤.

[٣٦] أبو منصور الثعالبي: اللطائف والظرائف، بيروت، دار المناهل (١٩٩٣م)، ص١١٥.

[٣٧] الميداني: مجمع الأمثال: ج٢، ص٤٥٦.

www.mtenback.com

هنالك وقعت في الشغل؛ قال: كأنك تهددني، والله لئن قلت لي كلمة لأقولنّ لك عشرًا، قال: وأنت والله لئن قلت لي عشرًا لم أقل لك واحدة[٣٨].

وأسمع رجل عمر بن عبدالعزيز بعض ما يكره، فقال: لا عليك، إنما أردتَ أن يستفزني الشيطان بعزة السلطان، فأنال منك اليوم ما تناله مني غدًا، انصرف إذا شئت[٣٩]. وهو القائل: «ما قرن شيء إلى شيء أفضل من حلم إلى علم ومن عفو إلى قدرة»[٤٠]. وقيل لعمرو بن عبيد: «لقد وقع فيك اليوم أيوب السختياني حتى رحمناك؛ قال: إياه فارحموا».

وشتم رجل الشعبي، فقال له: إن كنت صادقًا فغفر الله لي وإن كنت كاذبًا فغفر الله لك.

وقال معاوية لعمرو بن الأهتم: أي الرجال أشجع؟ قال من ردّ جهله بحلمه. قال: وأي الرجال أسمى؟ قال: من بذل دنياه في صلاح دينه[٤١].

وقال الأفوه بن مالك الأزدي: «العلم محجزة عن الغيظ، والفحش من العي، والعيّ مهدمة للثناء، وخير ما ظفر به الرجال اللسان الحسن، وفي ترك المراء راحة للبدن»[٤٢].

وقال الربيع بن خيثم: الناس رجلان: عاقل وجاهل، فأما العاقل فلا تؤذه وأما الجاهل فلا تُجَارِه.

---

[٣٨] ابن عبد ربه: العقد الفريد ج٢، ص٢٧٥.

[٣٩] ابن عبد ربه: العقد الفريد ج٢، ص٢٧٩.

[٤٠] المقري: حسن الثّنا ص١٨.

[٤١] ابن أبي الدنيا: الحلم، ص٢٩؛٣٣؛ ٣٤؛ ٣٩؛ ٥٤.

[٤٢] المصدر السابق نفسه.

www.mtenback.com

وقال معاوية بن قرة: مكتوب في الحكمة: لا تجالس بحلمك السفهاء ولا تجالس بسفهك الحلماء.

وقال أكثم بن صيفي: العز والغلبة للحلم.

وقال عبدالملك بن صالح: الحلم يحيا بحياة السؤدد[٤٣].

وقالوا: سمى الله يحيى سيدًا بالحلم[٤٤].

وقال المنصور: عقوبة الحلماء التعريض وعقوبة السفهاء التصريح.

ونكتفي بهذه المجموعة من أقوال الصحابة والتابعين والعلماء والحلماء وقد أرجأنا الكثير منها مما سيرد متفرقًا في ثنايا هذا البحث.

وهذه النماذج على اقتضابها وإضرابنا عن تناولها بالتحليل، تفصح عن عقلية العربي ووضوح صورة الحلم في تصوره، وهي نماذج تمثل عصارة أفكار العرب وخلاصة عقولهم وثمرات تجاربهم ومحصول خبرتهم، وجميعها ترفد الحلم وتصب في أوديته، وتنزله منزلة سامية في تفكيرهم، وتجعله من الفضائل الأساسية والقيم السامية التي يدأبون على تمثلها في حياتهم الاجتماعية.

ولم تكن هذه الأقوال إلا تربية اكتسبها العربي من تكرار التجارب وبيان فائدة الحلم وحسن أثر الحليم الذي يعود حلمه عليه بالفضل والرضا وقد اتسع الحديث في الإرث العربي عن فضائل الحلماء فزينت بذلك مقامات الفضل فيهم وعدهم الناس رؤساء بحلمهم وعفوهم عن الناس وترفعهم عمّن جهل عليهم، وقد أخذت صفة الحليم تحل مرادفة لصفة السيد المطاع الذي يقول فلا يعصى ويأمر فيطاع.

---

[٤٣] ابن قتيبة: عيون الأخبار ج٢، ص٢٨٢؛ ٢٨٤؛ ٢٨٥.

[٤٤] المصدر السابق، ص٢٨٢، ٢٨٥.

www.mtenback.com

الحلم في الأمثال:

لا يختلف الدارسون للتراث العربي والناظرون في أسس البلاغة العربية في أن غاية الكلام هي في الإيضاح والإيجاز، واختصار المعاني الكثيرة والتجارب المفيدة في جملة قصيرة، وقد قام الشاهد في كلامهم خاصة على حكمة المثل وتكثيف معناه واتخاذه عبرة وقدوة، وأكثر الجمل المنطوقة اختصاراً وأشدها تركيزاً هو المثل الذي يجمع العبرة في كلمات محدودة وجمل قصيرة تغني عن الشرح والتطويل وقد كان للأمثال تأثير كبير على المستمع حين يجد في العبارة القاطعة دلالة واضحة مبينة، ولأن الأمثال خلاصة تجارب الأمم فقد حفلت أمثال العرب بتناول الحلم وموضوعاته. ومن ذلك حضهم على الحلم في قولهم «احلم تَسُد»، وقولهم: «من حلم ساد ومن تفهّم ازداد»[٤٥]. ولا يسود إلا الحليم المتباعد عن الشر عملاً بقولهم: «إذا نزل الشر فاقعد» أي لا تسارع إليه، فهذه دعوة إلى الأناة وهي توءم الحلم، ولا يصدر عن أناة إلا العاقل، فالحليم هو المتعقل أي الذي يستخدم عقله في جميع الأمور لذلك قال أكثم بن صيفي: «العقل الحلم وجماع الأمر الصبر»[٤٦] وهذا هو أساس السيادة. والسيادة غالية الثمن حتى قيل: «سيد القوم أشقاهم» لأنه بحلمه يتصدى للشدائد دون عشيرته. فيكون مناط حاجاتهم وأهمها ثبات الرأي وحسن التجربة وصواب القصد.

وكانوا يقولون: «الحلم سيد الأخلاق» لأنه يقي صاحبه شر كثير من العواقب مثلما قالوا: «حلم ساعة يدفع شراً كثيراً»، وهو قريب من قول الحسن البصري: «الحليم سليم والسفيه كليم»[٤٧]. وقالوا أيضاً «الحليم كواقع الطير وكساكن الريح»،

---

[٤٥] ابن عبد ربه: العقد الفريد، ج٢، ص٢٨٢.

[٤٦] المصدر السابق نفسه؛ وانظر: الميداني: مجمع الأمثال ج٢، ص٣٥٧.

[٤٧] الأبشيهي، بهاء الدين محمد: المستظرف في كل فن مستطرف، القاهرة، مطبعة بولاق، (١٢٩٢هـ)، ج١، ص٢٥٨.

www.mtenback.com

وهو أشبه بقولهم: «إنه لواقع الطير»[٤٨] يضرب لمَن يوصف بالحلم والوقار. وقالوا في صفة الحلماء: «كأنما على رؤوسهم الطير» لأن الطير لا تسقط إلا على ساكن، أو أن الذي على رأسه طير لا يحرك رأسه خشية أن يطير، ومعنى ذلك كثرة التدبر في الأمور والنظر فيما يعرض له من مشكلات الحياة، فهو رزين ثابت لا يستخفه شيء، ينظر بعقله ويستعين على ما يواجه بالتريث، والانتظار فلا يسرع في قرار قد تكون عواقبه وخيمة ولا يتخذ إلا الصبر معاونًا على ما يلقى من شؤون الحياة أو ما يوكل إليه النظر فيه من قضايا قومه ومجتمعه.

والمعلوم أن التأني والرفق من مقومات الحلم، لذلك قال وهب بن منبّه «الرفق ثِنْيُ الحلم»[٤٩] ويروى هذا المثل أيضًا: «الرفق بُنَيُّ الحلم»[٥٠] فكأن الرفق من الحلم أو مثله. بل الرفق صفة الحليم التي تعطيه قوة الإرادة وحسن الاختيار للصائب من الأمر فإذا كان رفيقًا صار حليمًا بالضرورة لأن الصلة وثيقة بين الرفق وبين الحلم ولا تنفصم إحدى هاتين الخصلتين عن الأخرى.

ومن حكمهم: الحلم حجاب الآفات، ومنها أيضًا: حلم ساعة يرد سبعين آفة، فجعلوه وقاية من آفات المجتمع كالحروب والقتل ومصائب العرض والمال وغيره.

وتتصل بالحلم فضيلة أخرى هي العفو الذي هو ثمرة من ثمرات الحلم؛ فقالوا: من عادة الكريم إذا قدر غفر وإذا رأى زلة ستر. ويجعلون العفو مقرونًا بالمقدرة فيقولون: «ليس الحليم من ظُلِم فَحَلُم حتى إذا قدر انتقم، ولكن الحليم من ظلم فحلم حتى إذا قدر عفا»[٥١]. ولاشك أن القدرة هي محك خصلة الحلم أو هي الدليل

---

[٤٨] الميداني: مجمع الأمثال: ٢٨/١.

[٤٩] المصدر السابق: ج١، ص٣١١.

[٥٠] بُنَيّ: تصغير (ابن).

[٥١] ابن عبد ربه: العقد الفريد ٢٨٣/٢.

www.mtenback.com

والاختبار الحقيقي للحلم فإذا كان المرء قادرًا على أن يفعل لنفسه شيئًا بقوته أو بسلطانه أو بإخوانه وأعوانه، واحتاج إلى هذه القوة فأبطلها بحكمه وألغاها بعفوه عُدَّ حليمًا وحُمد له عمله وحلمه لأنه يصدر عن قدرة وليس حلمه عن عجز وضعف، ومع هذه الخصال فقد صار التقارب بين الحلم والذل، وصعب في بعض الحالات التمييز بينهما إلا إذا عرف أن الحليم صاحب قدرة عندئذٍ يُنتفى بالضرورة الاحتمال الآخر.

والعرب مع مدحهم الحلم فقد يراه بعضهم ذلاً لا يحتمله إلا من أوتي صبرًا وأناة، فقالوا: «الحلم ذل» وقالوا: «الحليم مطية الجهول» أي يتوطأ بالصبر والحلم فيركبه الجاهل بالإهانة والتجريح، لأنهم قالوا: «لا ينتصف حليم من جاهل» ولأن الحلماء يحتاطون فإنهم يقولون: «من لم يصبر عن كلمة سمع كلمات».

والحليم يجتنب الفحش وينأى عن مواطنه، ويصدق ذلك قولهم:

قُلْ مَا بَدَا لَكَ مِنْ صِدْقٍ وَمِنْ كَذِبٍ ... حِلْمِي أَصَمُّ وَأُذْنِي غَيْرُ صَمَّاءِ

فإذا سمع ما يسيء إليه فأعرض عما سمع وعفا عما قيل فهو قادر تمتع بخصلة الحلم وفضيلته، وحَسُن الثناء عليه عند الخاصة قبل العامة وعُدَّ من الحلماء الحكماء. ذلك أن مجاراة الفاحش مدعاة للسقوط في فحشه كما قالوا: «إذا تلاحت الخصوم تسافهت الحلوم».

والعرب تضرب المثل بمشاهير حلمائها فتقول: «أحلم من الأحنف» وهو أبو بحر صخر بن قيس من بني تميم وكان حليمًا موصوفًا بذلك. ومن أمثالهم: «أحلم من فرخ عقاب» ذكر الأصمعي أنه سمع أعرابيًا يقول: سنان بن حارثة «أحلم من فرخ عقاب» قال: فقلت له: وما حلمه؟ فقال: يخرج من بيضة على رأس نيق أعلى موضع في الجبل فلا يتحرك حتى يَفِرَ ريشه ولو تحرك سقط، يريدون بذلك التأني والتروي. وقالوا أيضًا: «أحزم من سنان» وهو سنان نفسه، الذي قيل عنه: لم يجتمع الحزم والحلم في رجل فسار بهما المثل إلا في سنان بن حارثة.

www.mtenback.com

وإذا كان حلماء العرب في الجاهلية وحلماؤها في الإسلام قد ضرب بهم المثل وسار ذكرهم وخلد على ألسنة الرواة والشعراء فإن ذلك دليل على مكانة الحلم نفسه في العقل العربي واحترام قدرات هؤلاء ثم تحولت هذه الصفة الحبيبة المحببة إلى فضيلة خلقية وقيمة اجتماعية يصدق الفضل فيها على كل من يتصف بها سواء كان في الماضي الذي أصبح ذكرًا حسنًا وتاريخًا مقروءًا أو في الحاضر والمستقبل لأن الحلم يتحول بتحول العادات ويتكيف سلوك الحليم مع تحولات المجتمع وتطوراته، وقد يصدق تعريف الحليم في كل زمان على صفات محددة هي الأناة والرفق والصبر على الأذى واحتمال الجريرة، وأن يقدر ثم لا ينتقم. ذلك هو الحليم في أي زمان كان وفي أي أرض وجد.

الحلم في الشعر:

الشعر ديوان العرب وفن العربية الأول، وهو السجل الذي وثّق حياة العرب الاجتماعية، وقدم عنها صورة ناطقة تداولها الرواة وتناقلتها الأجيال. وكان لفضيلة الحلم في هذا السجل الحافل نصيب موفور من الفضائل الأثيرة المقدمة عندهم.

والمطالع لديوان الشعر العربي قديمه وحديثه يجد للحلم حضورًا مشهودًا في مادته، يمدحونه ويحضون عليه ويجعلون منه بلسمًا يداوون به كثيرًا من أمراض المجتمع كالجهالة والحقد والحسد، ويدعون لمقابلة كل ذلك بالعفو والتسامح والصمت والصبر على أذى الأقارب والأباعد. ولهم في الحلم أبيات سائرة؛ فقد ذهب النقاد إلى أن أشعر بيت قيل في الحلم قول كعب بن زهير[٥٢]:

إِذَا أَنْتَ لَمْ تُعْرِضْ عَنِ الجَهْلِ وَالخَنَا أَصَبْتَ حَلِيمًا أَوْ أَصَابَكَ جَاهِلُ

[٥٢] الأبشيهي، المستطرف ج١، ص٢٦٢.

www.mtenback.com

وهو معنى بعيد الغور في تبرير الأفعال وقياس الفعل ورده، والتحذير من أحد خطأين لابد أن يقع فيهما من لم يحترز عن أقبح خصلتين يعرفهما الناس وهما الجهل، والخنا. والجهل هنا يعني سوء التقدير وتجاوز المرء حدود اللياقة التي توجبها عليه علاقته بالآخرين فإذا لم يكن محترزاً من هاتين الخصلتين الذميمتين أساء إلى حليم وأساء إليه، أو تعرض لجاهل قد لا يحترمه ولا يرحمه.

والناس يحتاجون إلى الحلم في كل وقت ولكن حاجتهم له تزداد عند الغضب، ولهم في ذلك أصل يمثله قول الشاعر:

لَيْسَتِ الأَحْلامُ في حالِ الرِّضا ... إِنَّما الأَحْلامُ في حالِ الغَضَبْ

ويذكر الأبشيهي[٥٣] أن الشعبيّ كان أَوْلَعَ شيء بهذا البيت، وقد قيل له: ألا تنتقم من فلان فقد عاداك ونصب لك؟ فما زاد على أن أسمعهم هذا البيت، كأن معناه جواب لكل من يلوم على الحلم، أو يجهل عند الغضب.

وهم إنما يمدحون الحلم لأنهم يحبون مكارم الأخلاق، والحلم رأس هذه المكارم يقول الحسن بن رجاء[٥٤]:

أُحِبُّ مَكَارِمَ الأَخْلاَقِ جَهْدِي ... وَأَكْرَهُ أَن أَعِيبَ وَأَنْ أُعَابَا

وَأَصْفَحُ عن سِبابِ النَّاسِ حِلْمًا ... وَشَرُّ النَّاسِ مَنْ يَهْوَى السِّبَابَا

وإلى هذا ذهب أصرم بن قيس الذي جعل الحلم عنوان المكرمات ودليل المروءة فقال:

وَإِنِّي لأَتْرُكُ عُورَ الكَلاَمِ ... لِئَلاَّ أُجَابَ بِمَا أَكْرَهُ

---

[٥٣] الأبشيهي، المستظرف ج١، ص٢٦٠.

[٥٤] ابن عبد ربه: العقد الفريد ٢/٢٨٤.

www.mtenback.com

أَصمُّ عَـنِ الكَـلِمِ المُحْفِظَـاتِ وَأَحْلُـمُ وَالحِلْـمُ بِـي أَشْـبَهُ
إِذَا مَا اجْـتَرَرْتُ سِـفَاهَ السَّـفِيهِ عَلَـيَّ فَـإِنِّي أَنَـا الأَسْـفَهُ

فإذا عرض المرء نفسه للسفهاء ومن لا يرعون حقوقًا للناس ولا يتورعون عن الإساءة إليهم، فإن اللوم يقع على هؤلاء الذين لم يدرأوا سفه السفهاء عنهم، وما ذاك إلا بالحلم والإعراض عن أخطائهم، وتجاوز السفه الذي يلقاه المرء لا محالة ممن يتعامل معه أو تربطه به رابطة من روابط الحياة. فقد يتعرض الإنسان إلى مواقف تفرض عليه صورة من صور التعامل مع غير الحلماء، في هذه الحال يجدر بالحليم أن يتسع حلمه وصدره ويحافظ على كرامته حين يتجاهل الأخطاء ويغفر السيئات ويحسن عشرة العامة والخاصة.

وأشعار العرب في الحلم يمكن تصنيفها في أقسام ثلاثة؛ قسم مدح الحلم مطلقًا وجعله من صفات الخير التي يمتدحُ بها، وقسم مدح الحلم ولكنه جعله مشروطًا بالحزم حفاظًا على عزة النفس والأنفة والإباء التي هي من صفات العرب الأصيلة، وقسم ثالث تطرّف فرأى الحلم ذُلاً على كل حال. ومع أن البحث يفرد لمثل هذه التقسيمات أبوابًا خاصة لتحليلها وهي ستأتي، إلا أن ذلك لا يمنع من الإلمام على عجل بنماذج مما قيل في ذلك من جميل القول وما سجله الشعر العربي والأدب. وممن ذكر الحلم من بين خصال الخير ومدح به عبدالله بن الزِّبَعْرَى أحد مخضرمي الجاهلية والإسلام حين مدح بني ريطة بنت سعد فقال[٥٥]:

فَمَـا مِـنْ إِخْـوَةٍ بَيْـ نَ قُصُـورِ الشَّـامِ وَالـرَّدْمِ
بِـأَزْكَى مِـنْ بَنِـي رَيْطَـ ـةَ أَوْ أَوْزَنَ فِي حِلْـمِ

[٥٥] ابن حبيب، أبو جعفر محمد: المحبر، حيدر أباد، (١٩٤٢)، ص ٤٥٨.

www.mtenback.com

وقال خلف بن خليفة مولى قيس بن ثعلبة[٥٦]:

عَدَلْتُ إلى فَخْرِ العَشِيْرَةِ وَالهَوَى ... إِلَيْهِمْ وَفي تَعْدَادِ مَجْدِهِمُ شُغْلُ

عَلَيْهِمْ وَقَارُ الحِلْمِ حَتَّى كَأَنَّمَا ... وَلِيدُهُمُ مِنْ أَجْلِ هَيْبَتِهِ كَهْلُ

إِنِ اسْتَجْهِلُوا لَمْ يَعْزُبِ الحِلْمُ عَنْهُمُ ... وَإِنْ آثَرُوا أَنْ يَجْهَلُوا عَظُمَ الجَهْلُ

مع أن الحلم هو الأعلى في السلوك البشري وأن الالتصاق به يعلي درجات الناس ويرفع من شأنهم، فإن الإرادة الردع في بعض المواقف شأن مهم أيضًا، وهو مطلب عملي حين لا يجد الإنسان بدًا من استعمال بعض الردع لمن لا يردعه الحلم ولا ينفع في تأديبه وتربيته إلا القوة. ولكن ذلك مشروط أن يكون تجاوز الحلم بموقف خاص يعود بعده الإنسان إلى طبيعة الحلم وقيمته الاجتماعية. وقد ذكر الشعراء شيئًا من حسنات الحلم ومنهم سراقة البارقي حين أنشد:

وَإِنْ ذُكِرَ الحِلْمُ المُزَيِّنُ أَهْلَهُ ... فَما الحِلْمُ عَنْهُ يَوْمَ ذَاكَ بِغَائِبِ

ومثله قالت الخنساء في أخيها صخر[٥٧]:

فَتًى كَانَ ذا حِلْمٍ أَصِيلٍ وَتُؤْدَةٍ ... إِذَا ما الحُبَى مِنْ طَائِفِ الجَهْلِ حُلَّتِ

وتبعهما البحتريّ فقال واصفًا ممدوحه[٥٨]:

حَلِيمٌ إِذَا القَومُ استُخِفَّتْ حُلُومُهُمْ ... وَقُورٌ إِذَا ما حَادِثُ الدَّهْرِ أَجْلَبَا

وأكدَّ ذلك كثيّر عزة في بيته الآتي[٥٩]:

جَمِيلُ المُحَيَّا أَبْلَجُ الوَجْهِ واضِحٌ ... حَلِيمٌ إِذا ما زَلْزَلَتْهُ الزَّلازِلُ

---

[٥٦] الألوسي، بلوغ الأرب: ٥٨.

[٥٧] الخنساء، تماضر بنت عمرو: ديوانها، دمشق، دار كرم، د.ت، ص ٢٧.

[٥٨] البحتري، الوليد بن عبادة: ديوانه، بيروت، ١٩٨٧، ص ٢٢.

[٥٩] كثير عزة: ديوانه، جمعه وشرحه: إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، (١٣٩١هـ/١٩٧١م)، ص٢٩٤.

www.mtenback.com

فهؤلاء أربعة من الشعراء تواردوا معنى واحدًا من معاني الخلق الكريم الـــذي يسعى الناس إلى التخلق به ويعجز أكثر الناس من أن يوصف به، أما من قاوم نـــزوات النفس وغلب شيطانها وركن إلى الحلم واتخذه منهجًا في حياته حتى يعرف به، فهـــو عندئذ يصبح ممدوحًا بهذه الخصلة محيطًا بها، ملمًّا بآدابها، وقد عرضت لنا الأبيـــات الأربعة السابقة ملامح لعدد من الرجال الذين عرف عنهم الحلم وجمعت بينهم في رأي مادحيهم صفة واحدة من صفات الحليم وهي ثبات جنان الحليم حين يســـتفز، فـــلا يستجيب للاستفزاز ولا يقدر عدوه أو من يستفزه على أن يخرجه عن خلقه، وما أخذ نفسه به من مجاهدة ومصابرة حتى صار حليمًا حكيمًا.

وقال أبو تمام[٦٠]:

رَقِيقُ حَواشِي الحِلْمِ لَـــوْ أَنَّ حِلْمَـــهُ ... بِكَفَّيْكَ مَا مَـــارَيْتَ في أَنَّـــهُ بُـــرْدُ

وتلحظ هنا ربط هؤلاء الشعراء على اختلاف عصورهم بين الحلـــم والوقـــار والتؤدة ولين الجانب وجميعها من مقومات الحلم وعناصره. يضاف إلى ذلك أنّ الحلم في نظر العربي زينٌ لصاحبه كما مرّ في بيت البارقي، وقد مرّ بنا في دعاء الرســـول ﷺ «اللهم زيني بالحلم»[٦١]، وعليه قول كعب بن سعد الغنوي[٦٢]:

حَلِيمٌ إِذا ما الحِلْـــمُ زَيَّـــنَ أَهْـــلَهُ ... مَعَ الحِلْمِ في عَيْـــنِ العَـــدُوِّ مَهِيْـــبُ

إِذا ما تَراءاهُ الرِّجَـــالُ تَحَفَّظُـــوا ... فَلَم تُنْطَقِ العَـــوْرَاءُ وَهْـــوَ قَرِيـــبُ

ولكعب الغنوي أيضًا في المدح بالحلم، في صور اجتماعية ذات صدى واقعـــي ومثالي معًا![٦٣]:

---

[٦٠] أبو تمام، حبيب بن أوس الطائي: ديوانه، بيروت، (١٩٨٦م)، ص ٢٨٠.

[٦١] أورده السيوطي في همع الهوامع، ١/٣٨٠، وعزاه إلى ابن عمر.

[٦٢] القالي، أبو علي: كتاب الأمالي، ج٢، ص١٥٠، دار الكتاب العربي، بيروت.

[٦٣] ابن أبي الدنيا: الحلم، ص٧٣.

www.mtenback.com

أَخِي ما أَخِي لا فَاحِشٌ عِنْـدَ بَيْتِـهِ ... ولا وَرِعٌ عِنْـدَ اللِّقَـاءِ هَيُـوبُ
هُوَ العَسَلُ المَاذِيُّ حِلْمًـا وَنَـائِلاً ... وَلَيْثٌ إِذَا يَلْقَـى العَـدُوَّ غَضُـوبُ
لَقَدْ كَانَ أَمَّـا حِلْمُـهُ فَمُـرَوَّحٌ ... عَلَيْنَـا وَأَمَّـا جَهْلُـهُ فَعَزِيـبُ
حَلِيمٌ إِذا ما سَوْرَةُ الجَهْـلِ أَطْلَقَـتْ ... حُبَى الشَّيْبِ لِلنَّفْسِ اللَّجُوجِ غَلُـوبُ

قال عمرو بن الإطنابة يصف قومًا بالحلم فيرفعهم إلى مقامات الكمال بين الناس والقدوة الحسنة[٦٤]:

لايَطْمَعُونَ وَهُـمْ عَلَـى أَحْسَـابِهِمْ ... يَشْـفُونَ بِـالأَحْلامِ داءَ الجَـاهِلِ
وَالقَـائِلِينَ وَلا يُعَـابُ خَطِيبُهُـمْ ... يَـوْمَ المَقَامَـةِ بِـالكَلامِ الفَـاصِلِ

هذه الأبيات لشعراء جاهليين اخترنا أن نعرضها هنا للسبب الآتي: وهو أن خصلة الحلم والتحلي بها خصلة أصيلة في أخلاق العرب وطبيعة مركوزة في نفوسهم وهم في جاهليتهم، فلم يزهدوا بفضائل الأعمال، وتخلقوا بأدب الإحسان في تعاملهم وأعلوا من مكانة الصبر، وقد لا يمنعهم عن البطش والانتقام إلا نفوسهم وعلو همتهم وارتفاع شأنهم عند الآخرين.

وكما مَدَحوا بالحلم مدحوا الحلم نفسه؛ وقد ساق صاحب العقد الفريد[٦٥] طائفة من الأشعار في هذا الباب منها قول الشاعر:

إِنِّي أَرى الحِلْمَ مَحْمُـودًا عَواقِبُـهُ ... وَالجَهْلُ أَفْنى مِنَ الأَقْـوَامِ أَقْوامـا

وقال آخر مبينًا أن الحلم حلية المرء ترفع مقامه وتجعله في مكان الصدارة:

أَلَمْ تَرَ أَنَّ الحِلْـمَ زَيْـنٌ مُسَـوِّدٌ ... لِصَاحِبِهِ وَالجَهْـلَ لِلْمَـرْءِ شَـائِنُ

---

[٦٤] ابن أبي الدنيا: الحلم، ٤١.

[٦٥] ابن عبد ربه: العقد الفريد، ج٢، ص٢٧٧، وما بعدها.

www.mtenback.com

فَكُنْ دافِئًا لِلْجَهْلِ بِـالحِلْمِ تَسْـتَرِحْ مِنَ الجَهْلِ إِنَّ الحِلْمَ لِلْجَهْـلِ دافِـنُ

وجعل بعضهم الانتساب إلى الحلم فخارًا فقال:

أَلا إِنَّ حِلْمَ المَـرْءِ أَكْـبَرُ نِسْـبَةٍ يُسَامِي بِها عِنْـدَ الفَخَـارِ كَرِيـمُ

فَيا رَبِّ هَبْ لِي مِنْكَ حِلْمًا فَـإِنَّنِي أَرى الحِلْمَ لَمْ يَنْـدَمْ عَلَيْـهِ حَلِيـمُ

وقال بعضهم مبيّنًا فضل الحلم التربوي على أخلاق من يُحْلَم عليه، وأثرالحلم في إقرار السلم:

وَفِي الحِلْمِ رَدْعٌ لِلسَّفِيهِ عَـنِ الأَذى وَفِي الخَرْقِ إِغْراءٌ فَلا تَـكُ أَخْرَقـا

ولمحمود الوراق في الإشارة إلى محمدة طريفة في الحلم وهي أن الجاهل ينبّه الناس إلى كريم خصال من حَلُم عليه:

إِنِّـي وَهَبْـتُ لِظـالِمِي ظُلْمِـي وَغَفَـرتُ ذاكَ لَـهُ عَلـى عِلْـمِ

وَرَأَيْتُـهُ أَسْـدى إِلَـيَّ يَـدًا لَمّـا أَبـانَ بِجَهْلِـهِ حِلْمِـي

وهذا شبيه بقول مالك بن دينار، إذ جاءه رجل من بني ناجية فقال: يا أبا بحـر قد قيل لي إنك ذكرتني بسوء، قال: أنت إذن أكرم عليّ من نفسي[٦٦].

وبالحلم تندمل الجراح وتنفتح أمامهم أبواب التصالح والمصافاة.

ولو نظر المرء إلى ما تواطأت عليه الأبيات السابقة لوجد أن العربي ليس طائشًا شرسًا ولا متسرعًا مغرورًا ولكنه متأمل في الحياة ناظر في عواقب الأمور مدبر أمره مع نفسه ومع غيره، يعيش في محيط إنساني فيحاول أن يتكيف مع الناس ويتواءم معهـم وليس أقدر على ذلك من أن يتصف بالحلم ويتحمل بالصبر، ومع تأملـه ونظـره في عواقب التعامل الطيب يكسب الناس إلى جانبه فلا يؤذيه أحد وإن تعرض للأذى مـن بعض الناس وهم ولاشك القلة فإن الأكثر والأغلب منهم سيكونون معه في حـاضر

[٦٦] ابن أبي الدنيا: الحلم، ٤٦.

www.mtenback.com

أمره وفي ماضي حياته بل إن ذكره وشهرته في الحلم ستبقى كما بقيت أخبار الحكماء الذين سجلهم التاريخ وذكرتهم الأثار، فأصبحت الأجيال ترث ذكرهم وتتحدث عن حلمهم.

أما الذين يمدحون الحلم المقترن بالحزم، فقد مرّ بنا في الأمثال أن سنان بن حارثة كان ممن جمع بين الحلم والحزم وذلك أمر محمود عند العرب؛ فهم يفضلون الحلم ويمدحونه، وإنما ينكرون الحلم المطلق المفضي إلى الذلة، ولذلك يعجبهم الحلم إذا كان مقرونًا بشيء من الشدة في مواضعها، وإمام الشعراء في ذلك النابغة الجعدي، إذ يقول[٦٧]:

وَلا خَيْرَ في حِلْمٍ إِذَا لَمْ تَكُنْ لَهُ ... بَوَادِرُ تَحْمِي صَفْوَهُ أَنْ يُكَدَّرا

وَلا خَيْرَ في جَهْلٍ إِذَا لَمْ يَكُنْ لَهُ ... حَلِيمٌ إذا ما أَوْرَدَ الأَمْرَ أَصْدَرا

فَفِي الحِلْمِ خَيْرٌ فِي أُمُورٍ كَثِيرَةٍ ... وَفِي الجَهْلِ أَحْيَانًا إِذا ما تَعَذَّرا

فقد جمع كل معاني الحلم الحسن منه ومالا يحسن وعلل السبب الذي يجعل للحلم موضعًا مناسبًا ولكنه احترز عن الإطلاق لفضيلة الحلم، وجعل لكل موقف ضابطًا يضبطه فيكون الحلم فيه خيرًا. وموقف آخر لابد أن يتزحزح الحلم قليلاً عن مكانه ليحل الجهلُ فيه حتى تستقيم الحياة ويستقيم الناس. والنابغة في هذا التقسيم لم يكن شاعرًا ملهمًا فحسب وإنما كان حكيمًا فيلسوفًا، ينظر في طوايا النفس البشرية ويميز اختلاف الناس وتركيب الطباع، فجعل الحلم طبعًا محمودًا حتى يلقاه الطبع اللئيم الذي لا يصلحه غير ما يشاكله حتى يردعه ويقضي عليه. ولا يكون ذلك إلا بالتقابل بين الجهل الذي هو عدو الحلم وضده. فالرادع المطلوب هنا هي الضدية، ولكنه مع ميله إلى مكارم الأخلاق يجعل الحلم يأتي على رأس هذه المكارم، ولم يجعل الأمر سواسية بين الحالين، ولكنه يفضل الحلم دائمًا إلا في الظرف الاضطراري حين لا

[٦٧] النابغة الجعدي، قيس بن عبد الله: ديوانه، دمشق، المكتب الإسلامي ١٣٨٤، ص ٦١.

www.mtenback.com

يكون معه علاج إلا الجهل، فالبيت الأخير عبر عن رأي النابغة في الحالين. و لم يكن له شاهد أعظم من الانفعال الوجداني في رأي أكرم الناس وأحبهم للحلم وأهله وهو الرسول ﷺ الذي استشعر معنى المقارنة ورأى صواب الرأي فانطلق لسانه بالدعوة المستجابة للشاعر التي تناقلتها الأخبار «لا يفضض الله فاك».

والعرب يشيرون باستعمال شيء قليل من الجهل ولكنه (أحيانًا) وعند اللزوم إذا تعذر غيره.

وعلق الجاحظ على هذا المعنى تعليقًا لطيفًا فقال عن هذا الشعر إنه «أحسن ما روي في البادرة التي يصان بها الحلم»[٦٨].

وقال عبد الملك بن مروان لمحمد بن عطارد التميمي: يا محمد، احفظ عني هذه الأبيات واعمل بهن[٦٩]:

إذا أَنْتَ جارَيْتَ السَّفيهَ كَمَا جَرى ... فَأَنْتَ سَفيهٌ مِثْلُهُ غَيْرُ ذي حِلْمِ

إِذَا أَمِنَ الجُهَّالُ جَهْلَكَ مَرَّةً ... فَعِرْضُكَ لِلْجُهّالِ غُنْمٌ مِنَ الغُنْمِ

فَلا تُعْرِضَنْ عَرْضَ السَّفيهِ وَدارِهِ ... بِحِلْمٍ فَإِنْ أَعْيا عَلَيْكَ فَبِالصَّرْمِ

وَعُمَّ عَلَيْكَ الجَهْلَ وَالْحِلْمَ وَالْقَهُ ... بِمَرْتَبَةٍ بَيْنَ العَداوَةِ وَالسِّلْمِ

فَيَرْجُوكَ تارات وَيَخْشَاكَ تارَةً ... وَتَأْخُذُ فِيما بَيْنَ ذَلِكَ بِالحَزْمِ

فَإِنْ لَمْ تَجِدْ بُدًّا مِنَ الجَهْلِ فَاسْتَعِنْ ... عَلَيْهِ بِجُهَّالٍ وَذَاكَ مِنَ العَزْمِ

وفي هذا أخذ بمبدأ الحزم والحلم، فإن احتاج إلى الجهل استعان بجهال قومه، فقد قالوا: ما قلّ سفهاء قوم إلا ذلّوا.

---

[٦٨] الجاحظ، عمرو بن بحر: رسائل الجاحظ، تحقيق: عبد السلام هارون، القاهرة، (١٩٦٥م)، ج١، ص٣٦٤.

[٦٩] ابن أبي الدنيا: الحلم، ٦٤.

www.mtenback.com

وقد أمر الحلماء الناس بالتسامح والعفو ولكن أبقوا على أن يواجه الاعتداء بمثله حتى لا تكون الغلبة للجهل فيتوارى الحلم وينتصر الباطل، وعلى هذا المدى من الإدراك نرى اليوم على مستوى الدول العظمى شيئًا يسمونه الرادع النووي وهو امتلاك دولة من الدول السلاح الذري فيصير امتلاك الدولة الأخرى له يعني استقرار الأمن حيث لا تطمع إحداهما بغزو الأخرى أو غلبتها. فإذا كان هذا على مستوى الدول في الوقت الحاضر فإن الأفراد والمجتمعات أجدر بأن تقابل الحلم بما يمنعه من المهانة والذل. وفي الأبيات السابقة معنى شبيه بما روي أن رجلاً استطال على سليمان ابن موسى فانتصر له أخوه فقال مكحول: ذَلّ من لا سفيه له. بل وأكثر شبهًا به ما روي عن فئة من بني تميم أصبحوا يتصارعون والأحنف ينظر إليهم، فقالت عجوز من الحي: ما حلمكم أقل الله عدوكم؟ فقال الأحنف: مه ولم تقولين ذاك، لولا هؤلاء لكنا سفهاء[٧٠]. يريد أن هؤلاء يدفعون السفه عنهم فتبقى لهم حلومهم وينتفي السفه عنهم.

وقال الفند الزّمّاني في حرب البسوس، مقارنًا بين وجه سلبيّ للحلم ووجه إيجابي للرّد على السوء بمثله[٧١]:

وَبَعْضُ الحِلْمِ عِنْدَ الجَهْلِ لِلذِّلَّةِ إِذْعَانُ
وَفِي الشَّرِّ نَجَاةٌ حِينَ لا يُنْجِيكَ إِحْسَانُ

وقال مسلم بن الوليد في المعنى نفسه[٧٢]:

حَلَفْتُ لَئِنْ لَمْ تَلْقَنِي سُفَهَاؤُها خُزَاعَةُ وَالحَيَّانِ عَوفٌ وَأَسْلَمُ

---

[٧٠] ابن عبد ربه: العقد الفريد ج٢، ص٢٨٠.

[٧١] البغدادي، عبدالقادر بن عمر: خزانة الأدب، دبي، مطابع البيان، (١٩٨٧) ج٣، ص٣٩٥.

[٧٢] الجاحظ: رسائل الجاحظ ج١، ص٣٦٦.

www.mtenback.com

لأَرْتَجِعَنَّ الوُدَّ بَيْنِي وَبَيْنَهَا ... بِقافِيَةٍ تَفْرِي العُرُوقَ فَتَحْسِمُ
مِنَ اللاَّءِ لا يَرْجِعْنَ إِلاّ شَوارِدًا ... لَهُنَّ بِأَفْواهِ الرِّجالِ تَهَمْهُمُ
أَصابُوا حَلِيمًا فَاسْتَعَدُّوا بِجَاهِلٍ ... إِذا الحِلْمُ لَمْ يَمْنَعْكَ فَالجَهْلُ أَحْزَمُ

وللحلم مقومات وعناصر تبعث عليه وتدفع إليه، وبعضها نظائر للحلم، وكلها من الخصال المحمودة عند العرب. فالصمت محمود عندهم لأنه صنو الحلم، ولا يمسك نفسه ولسانه عند الغضب إلا الحليم، لذلك عدوه مظهرًا من مظاهر الحلم وجعلوه معينًا عليه لأن في الرد والمماراة ومجاراة السفهاء خروجًا عن مقتضى الحلم وفي الإعراض والتغاضي السلامة.

فإذا كان عدم إخراج العاقل عن طوره محمودًا، فتجنب تهييج الجاهل أولى، لذلك قال أبو جعفر القرشي[٧٣]:

لاَ تَأْمَنَنَّ إِذا مَا كُنْتَ طَيَّاشا ... أَنْ تَسْتَفِزَّ بِبَعْضِ الطَّيْشِ فَحَّاشا
يا حَبَّذا الحِلْمُ مَا أَحْلَى مَغَبَّتَهُ ... جِدًّا وَأَنْفَعَهُ لِلْمَرْءِ مَا عاشا

ولذلك كانوا يمدحون بعضهم بالصمت ويرونه فضيلة، قال أحدهم:

لَقَدْ وارى المَقابِرُ مِنْ شَرِيكٍ ... كَثِيرَ تَحَلُّمٍ وَقَلِيلَ عابِ
صَمُوتًا فِي المَجَالِسِ غَيْرَ عَيٍّ ... جَدِيرًا حِينَ يَنْطِقُ بِالصَّوابِ

وقال كثير بن عبدالرحمن يمدح فتى حكيمًا عاقلاً، إذا سكت فإنّ صمته تحلُّم وصبرٌ وتعقل، وإذا تكلم كان قوله ميزانًا فصلاً ورأيًا راجحًا موزونًا [٧٤]:

فَتىً صَمْتُهُ حِلْمٌ وَفَصْلٌ كَلامُهُ ... وفي النّاسِ مَحْمُودُ الثَّناءِ صَلِيبُ

---

[٧٣] ابن أبي الدنيا: الحلم، ٥٩.

[٧٤] ديوانه، ص ١١٦.

www.mtenback.com

ويؤكد آخر أن خلق الحلم زينة للمتصف به، وأن هذا الخلق النبيل لا يحظى به المرء إلا بعد تصبّر وتحمّل وإن من تجلّيات هذا الخلق كثرة الصمت، وإن لم يكن الصمت عن غفلة وتبلّد فهو أحسن طريقٍ للأمن والسلامة. يقول:

لَعَمْرُكَ إِنَّ الحِلْمَ زَيْنٌ لأَهْلِهِ وَمَا الحِلْمُ إِلاّ عَادةٌ وَتَحَلُّمُ

إِذا لَمْ يَكُنْ صَمْتُ الفَتى مِنْ بَلادَةٍ وَعَيٍّ فَإِنَّ الصَّمْتَ أَهْدى وَأَسْلَمُ

ومغزى كل ما سبق وما سيأتي من الشعر ما يتطلبه المقام هو أن الحلم مكتسب وتربية يتعلمه المرء ويتعود عليه حتى يصبح حليمًا أو يتصف بصفة أهل الحلم عندما يشاكل طباعهم وتغلب عادة الصبر والتأني عليه. ففي رأي الشاعر أن الأمر لا يخرج عن سنن العادة وحمل النفس على التربية الصالحة، وأخذها بالحزم حتى تخضع وتطبع، ولولا المشقة والجهد الذي يبذله المرء بتدريب نفسه وتعويدها على ما يحمد من الخصال لما كان للتعليم والتربية معنى. والأداة الفاعلة في مجال التربية الخلقية هي الصمت حين يكون الكلام مظنة المزالق الخطرة التي تجر اللسان إلى ما لايحمد وقد يترتب على كلمة نابية متسرعة موقف يخرج الحليم عن أطوار الحلم، ولهذا السبب يوصي الشاعر في البيت التالي أن يلوذ الإنسان بالصمت ليقي عرضه ويحمي مروءته فلا يتعرض للألسنة الحداد فيقول[٧٥]:

وَالصَّمْتُ لِلْمَرْءِ الحَلِيمِ وِقايَةٌ يَنْفِي بِها عَنْ عِرْضِهِ ما يَكْرَهُ

والحديث عن الصمت يجر إلى الباعث عليه وهو محاذرة الوقوع في مماراة أهل الجهل والسفه ومجاراتهم، لأنها سيئة العاقبة؛ لذلك كثر في أشعارهم ذكر الحديث عن السفيه والإعراض عنه، وحذروا من مجالسته، يقول سراقة البارقي:

---

[٧٥] أبو العتاهية: ديوانه، ص٢٨٦.

www.mtenback.com

مُجالَسَةُ السَّفيهِ سَفَاهُ رَأيٍ ... وَمِنْ حِلْمٍ مُجالَسَةُ الحَليمِ

فَإِنَّكَ وَالقَرِينَ مَعًا سَواءٌ ... كَما قُدَّ الأَديمُ مِنَ الأَديمِ

وقد رزق الحلماء منهم بطول التجربة حظًا من المعرفة بالناس وبصرًا بأحوالهم، يقول الأحنف بن قيس، وهو من مشاهير الحلماء: ما نازعني أحد قط إلا أخذت أمري بإحدى ثلاث: «إن كان فوقي عرفت قدره، وإن كان دوني أكرمت نفسي عنه، وإن كان مثلي تفضلت عليه»[٧٦].

والحلم عند العرب هو علاج السفاهة الذي لا يجدي غيره، فهم يدارونه ويحذرونه ويتقونه بسفهائهم، فإذا لم يجد كل ذلك كان آخر الدواء الكيّ وذلك باتخاذ الحزم معه، ولا يلجؤون إلى ذلك إلا إذا أعيتهم الحيل. ومن شعرهم في الاحتراز قول الشاعر[٧٧]:

تَحَرَّزْ ما اسْتَطَعْتَ مِنَ السَّفيهِ ... بِحِلْمِكَ عَنْهُ إِنَّ الفَضْلَ فِيهِ

فَقَدْ يَعْصِي السَّفيهُ مُؤَدِّبيهِ ... وَيُبْرِمُ باللَّجاجَةِ مُنْصِفيهِ

تَلِينُ لَهُ فَيَغْلُظُ جانِباهُ ... كَعَيْرِ السَّوْءِ يَرْمَحُ عالِفيهِ

إِذا ابْتَعْتَ السَّفيهَ فَهَيِّ حِلْمًا ... وَصَمْتًا وَاسْتَعِدَّ لِسَدِّ فِيهِ

وقد يعلم الرجل الحازم أشياء احترازية حتى يسلم من سفه السفيه إذ كان لابد أن يتعامل معه أو تضطره الظروف والأحوال إلى الاتصال به.

وقد أكد الشعراء في شعرهم سياسة الحكيم وحلمه ولكنهم جعلوا الوقاية خيرًا من العلاج، والأبيات السالفة تدل على مدى الحيطة والحذر من جلساء السوء وعملاء السفه، وتنصح بالاعتماد على الحلم لعل المرء ينجو بنفسه مما يتعرض له.

---

[٧٦] ابن عبد ربه، العقد الفريد: ج٢، ص٢٨٣.

[٧٧] ابن أبي الدنيا: الحلم: ص٦٦.

www.mtenback.com

ومجاراة السفيه تزيده سفهًا وفي الصمت عنه السلامة المرجوة كما يقول محمود الوراق[٧٨]:

رَجَعْتُ عَلى السَّفيهِ بِفَضْلِ حِلْمٍ ... وَكَانَ الغَفْلُ عَنْهُ لَهُ لِجاما

وَظَنَّ بيَ السَّفاهَ وَلَمْ يَجِدْني ... أُسَافِهُهُ وَقُلتُ لَهُ سَلاما

فَقامَ يَجُرُّ رِجْلَيْهِ ذَلِيلاً ... وَقَدْ كَسِبَ المَذَمَّةَ وَالمَلاما

وَفَضْلُ الحِلْمِ أَبْلَغُ في سَفيهٍ ... وَأَحْرى أَنْ يَنالَ بِهِ انْتِقاما

وفي البيت الثاني إشارة إلى الآية الكريمة ﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾[٧٩].

وذكر المبرد بيتين للبحتري في هذا المعنى قال لو أضيفا إلى شعر زهير لجازا فيه، مدحًا لهما، وهما[٨٠]:

فَما سَفَهُ السَّفيهِ وَإِنْ تَعَدَّى ... بِأَنْجَعَ فِيكَ مِنْ حِلْمِ الحَلِيمِ

مَتى أَحْفَظْتَ ذَا كَرَمٍ تَخَطَّى ... إِلَيْكَ بِبَعْضِ أَفْعالِ اللَّئِيمِ

فَكأن البحتري هنا يشير إلى قولهم: «اخشوا غضبة الحليم».. بل كأنه يعذّر الحليم إذا تجاوز الحلم عندما يبتلى بمن لا حلم عنده، فلا يجد إلا أن ينال السفيه ببعض خصال السفه ليكف شرّه عنه، وهذا من المعاني التي يولدها البحتري مما سبق إليه من شعراء الجاهلية والإسلام، ولكنها أتت بمعنى جديد وصورة جميلة تستحق أن يستشهد بها في هذا الموضع.

---

[٧٨] ابن أبي الدنيا: الحلم، ٣٥.

[٧٩] سورة الفرقان: ٦٣.

[٨٠] المسعودي، أبو الحسن، علي بن الحسين: مروج الذهب ومعادن الجوهر، القاهرة، مطبعة السعادة (١٩٦٤)، ج٧، ص١٥٦.

www.mtenback.com

وقد قال زهير قبله في نصحه بطريقة ناجعة في معاملة الثرثار المهـــذار، داعيًـــا للتحلّم عليه والإعراض عنه بما يدعه منبوذًا، مع الإقبال على غيره وإكرامـــه. يقـــول زهير:

وَذِي خَطَلٍ فِي القَوْلِ يَحْسَبُ أَنَّـــهُ مُصِيبٌ، فَما يُلْمِمْ بِـــهِ فَهْـــوَ قائِلُـــهْ
عَبَأْتُ لَهُ حِلْمًـــا وَأَكْرَمْـــتُ غَـــيْرَهُ وَأَعْرَضْتُ عَنْهُ وَهْـــوَ بـــادٍ مَقَاتِلُـــهْ

ويقرنون الحلم بالصبر وهو قوام الحلم، ولا حلم لمن لا صبر لـــه علـــى الأذى والجهل والسفه، قال الشاعر:

الْحِلْـــمُ زَيْـــنٌ وَالتُّقَـــى كَـــرَمٌ وَالصَّبْرُ خَـــيْرُ مَراكِـــبِ الصَّعْـــبِ

وقال آخر يصف أخلاقه مع أرحامه وذوي قرابته فهو يلزم نفسه بالحلم معهم، خصوصًا إذا بادروه بالفعل السيِّئ والشر البادي[٨١]:

إِنِّي لَيَمْنَعُنِي مِنْ ظُلْـــمِ ذِي رَحِـــمٍ أَبٌ أَصِيلٌ وَحِلْمٌ غَـــيْرُ ذِي وَصَـــمِ
إِن لانَ لِنْـــتُ وَإِنْ دَبَّـــتْ عَقَارِبُـــهُ مَلأْتُ كَفَّيْهِ مِنْ صَفْحٍ وَمِـــنْ كَـــرَمِ

فالظلم والفحش والقطيعة كلها من مساوئ الأخلاق، ولا يقدر على مداراتها والصبر عليها إلا الحليم. فهم بذلك يتطلّعون إلى المجد وحسن الثناء، لأن الظلم وجعـــل الباطل حقًا يورث خمول الذكر ويسفه الأحلام ولا تجد العربي الصميم يقبـــل هـــذه الصفة الذميمة.

وكان معاوية بن أبي سفيان حليم بني أمية يتمثل شعر الحلم إذا اجتمع الناس في مجلسه، وكان عبد الملك بن مروان إذا جلس للقضاء بين الناس أقام وصيفًا على رأســـه ينشده شعر الحلم، لأن العدل أساس الملك، والملوك مطالبون بالحلم دون سائر النـــاس،

[٨١] ابن أبي الدنيا: الحلم، ٥٥.

www.mtenback.com

لأنهم يقدرون عليه ولا يعيبهم به الناس، إذ حلم الملوك عن قدرة وتجاوز، وحلم غيرهم قد يفسره الناس بالضعف والهوان.

وقيل كان سليم بن نوفل سيد بني كنانة قد ضربه رجل من قومه بسيف، فقال له سليمَ: أما خشيت انتقامي؟ فقال له: ما سودناك إلا لأنك تكظم الغيظ وتعفو عن الجاني وتحلم عن الجاهل وتحمل المكروه في النفس والمال، فعفا عنه[٨٢].

والعربي ربما سمع أبياتًا في أمر من الأمور فإن كان خيرًا أو عزمًا حضّته هذه الأبيات على فعله وإن كان غير ذلك منعته تلك الأبيات من إتيانه؛ فقد ذكر أن عبد الرحمن بن الحكم بن أبي العاص مرّ بناس من بني جمح، فنالوا منه، فبلغه ذلك فمر بهم وهم جلوس، فقال يا بني جمح قد بلغني شتمكم إياي وانتهاككم ما حرم الله، وقديمًا شتم اللئام الكرام فأبغضوهم وأيم الله ما يمنعني منكم إلا شعر عرض لي، فذلك الذي حجزني عنكم، فقال رجل منهم: وما الشعر الذي نهاك عن شتمنا؟ فقال[٨٣]:

وَاللهِ مَا عَطْفًا عَلَيْكُمْ تَرَكْتُكُمْ ... وَلَكِنَّنِي أَكْرَمْتُ نَفْسِي عَنِ الجَهْلِ

نَأَوْتُ بِها عَنْكُمْ وَقُلْتُ لِعَاذِلِي ... عَلَى الحِلْمِ دَعْنِي قَدْ تَدَارَكَنِي عَقْلِي

وَجَلَّلَنِي شَيْبُ القَذَالِ وَمَنْ يَشِبْ ... يَكُنْ قَمِنًا مِنْ أَنْ يَضِيقَ عَنِ العَذْلِ

وَقُلْتُ لَعَلَّ القَوْمَ أَخْطَأَ رَأْيُهُمْ ... فَقَالُوا وَخَالُوا الوَعْثَ كَالمَنْهَجِ السَّهْلِ

فَمَهْلاً أَرِيحُوا الحِلْمَ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ ... بَنِي جُمَحٍ لا تَشْرَبُوا أَكْدَرَ الضَّحْلِ

وهذا يوافق توجيه عمر رضي الله عنه إذ أمر بتعليم النشء رواية الشعر لأنه يعلّم المروءة. فإن المرء إذا لم يكن حليمًا فرأى حلم الحلماء فربما تأثر به وتحلّم، اقتداء بهم وتقليدًا لهم.

---

[٨٢] المقري، أحمد بن محمد: حسن الثنا في العفو عمّن جنى، مخطوطة مصورة، (د.ت)، ص ١٥.

[٨٣] ابن أبي الدنيا: الحلم، ٤٣.

www.mtenback.com

وفي شعر يزيد بن الحكم الثقفي كثير من الحكمة والدعوة إلى الحلم إذ به تصلح ذات البين. وله أبيات عبر فيها عن حلم مع قدرة على العقوبة يقول فيها[٨٤]:

وَإِنِّي لأَرْعَى المَرْءَ لَوْ يَسْتَطِيعُني ... أَصَابَ دَمِي يَوْمًا بِغَيْرِ قَتِيلِ

وَأُعْرِضُ عَمَّا سَاءَهُ وَكَأَنَّمَا ... يُقَادُ إِلى مَا سَاءَنِي بِدَلِيلِ

مُجَامَلَةً مِنِّي وَإِحْسَانَ صُحْبَةٍ ... بِلا حَسَنٍ مِنْهُ وَلا بِجَمِيلِ

أَصَالَةَ حِلْمٍ مِنْ حُلُومٍ أَصِيلَةٍ ... وَلا حِلْمَ إِلاّ حِلْمُ كُلِّ أَصِيلِ

وَلَوْ شِئْتُ لَوْلا الحِلْمُ جَدَّعْتُ أَنْفَهُ ... بِإِيعَابِ جَدْعٍ بَادِئٍ وَعَلِيلِ

حِفاظًا عَلى أَحْلامِ قَوْمٍ رُزِئْتُهُمْ ... رِزانٍ يَزِينُونَ النَّدَى وَكُهُولِ

وكان الخليفة عبد الملك بن مروان من أكثر الناس حفظًا للشعر الجميل الذي يعلم مكارم الأخلاق وكان دأبه مع ولاته والناس إنشاء الشعر طبقًا للحال الذي يريده شاهدًا له، وقد كان حلمه مع قدرته على العقاب يأتي مشفوعًا بأبيات تبين مواطن الحلم وقدرة الحليم وتجاوزه مع التحذير من بطشه عندما لا يقبل حلمه، أو عندما لا يزع الحلم جهل الناس عليه، وقد كان العراق القطر الذي شكل المعارضة المستترة والمعلنة لبني أمية، وقد عرف خلفاؤهم موقف العراقيين منهم فكانت سياستهم مع أهل العراق الحلم عنهم حتى لا يجدوا للحلم موضعًا. والأبيات الآتية ملخص رأي الخليفة أو سياسته مع الناس حين كتب بها إلى واليه قائلاً: إنما مثلي ومثل أهل العراق كما قال الأول ثم أورد الأبيات كاملة مكتفيًا بها عن غيرها[٨٥]:

فَإِنِّي وإِيَّاهُمْ كَمَنْ نَبَّهَ القَطا ... وَلَوْ لَمْ تُنَبَّهْ بَاتَتِ الطَّيْرُ لا تَسْرِي

---

[٨٤] ابن أبي الدنيا: الحلم، ص٥٧.

[٨٥] المصدر السابق، ص٥٣.

www.mtenback.com

أَنَاةً وَحِلْمًا وانْتِظَارًا بِهِمْ غَدًا ... فَما أَنا بِالْوَانِي وَلا الضَّرَعِ الغَمْرِ
أَظُنُّ صُرُوفَ الدَّهْرِ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ ... سَتَحْمِلُهُم مِنِّي عَلى مَرْكَبٍ عَسْرِ
أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنِّي تُخافُ عَرامَتِي ... وَأَنَّ قَناتِي لا تَلِينُ عَلى القَسْرِ
فَما بَالُ مَنْ أَسْعى لأَجْبُرَ عَظْمَهُ ... حِفَاظًا وَيَنْوِي مِنْ سَفاهَتِهِ كَسْرِي
أَعُودُ عَلى ذِي الجَهْلِ وَالذَّنْبِ مِنْهُمُ ... بِحِلْمِي وَلَوْ عاقَبْتُ غَرَّقَهُم بَحْرِي

وسعي العرب لجبر الكسر ورأب الصدع وإصلاح ذات البين هو ضرورة اجتماعية لأن قوتهم في اتحادهم لا في تفرقهم، وهم يَفرُوْنَ قوتهم لعدوهم ويستعملون الحلم مع ذوي الأرحام، يقول المتلمّس:

لِذِي الحِلْمِ قَبْلَ اليَوْمِ ما تُقْرَعُ العَصا ... وَما عُلِّمَ الإِنْسانُ إِلاّ لِيَعْلَما
وَلَوْ غَيْرُ إِخْوَانِي أَرَادُوا نَقِيصَتِي ... جَعَلْتُ لَهُمْ فَوْقَ العَرَانِينِ مِيسَما
وَما كُنْتُ إِلاَّ مِثْلَ قاطِعِ كَفِّهِ ... بِكَفٍّ لَهُ أُخْرى فَأَصْبَحَ أَجْذَما

وهذا هو العقل، لأن الإنسان إذا قطع ذوي قرابته أصبح منفردًا وإنما تعدو الذئاب على الشاة القاصية.

وكان عبد الملك يعجبه من الشعر ما دلّ على مكارم الأخلاق، وما كان حاضًا على وحدة الصف؛ وقد أوتي معرفة بالشعر وكانت له مع الشعراء وقفات ناقدة تدلّ على بصر بالشعر وما يعالجه من أحوال الناس، فقد حكى شيخ من محارب أن عبد الملك بن مروان كان يومًا في عدة من ولده وأهل بيته، فقالوا: لننشدك أجمل حكم، وأشعر ما يروى، فأنشدوا لزهير والنابغة وامرئ القيس وطرفة ولبيد، قال عبد الملك: أشعر منهم الذي يقول[٨٦]:

[٨٦] الأصفهاني: الأغاني، ج١٢، ص٥٥.

www.mtenback.com

وَذي رَحِمٍ قلَّمْتُ أَظْفـــارَ ضِغْنِـــهِ ... بِحِلْمِي عَنْهُ وَهْوَ لَيْـــسَ لَـــهُ حِلْـــمُ

يُحَاوِلُ رُغْمِـــي لا يُحـــاوِلُ غَـــيْرَهُ ... وَكَالْمَوْتِ عِنْدِي أَنْ يَحِلَّ بِهِ الرُّغْمُ

فَإِنْ أَعْفُ عَنْهُ أُغْضِ عَيْنِي على قَذًى ... وَلَيْسَ لَهُ بِالصَّفْحِ عَنْ دَيْنِـــهِ عِلْـــمُ

وَإِنْ أَنْتَصِرْ مِنْهُ أَكُنْ مِثْـــلَ رائِـــشٍ ... سِهامَ عَدُوٍّ يُسْتَهاضُ بِهـــا العَظْـــمُ

صَبَرْتُ عَلى ما كانَ بَيْنِـــي وَبَيْنَـــهُ ... وَما يَسْتَوِي حَرْبُ الأَقَارِبِ وَالسِّـــلْمُ

وَيَشْتُمُ عِرْضِـــي بِـــالْمُغَيَّبِ جـــاهِلاً ... وَلَيْسَ لَهُ عِنْدِي هَـــوَانٌ وَلا شَـــتْمُ

إِذَا سُمْتُهُ وَصْـــلَ القَرابَـــةِ سَـــامَنِي ... قَطِيْعَتَها تِلْـــكَ السَّـــفاهَةُ وَالإِثْـــمُ

وَإِنْ أَدْعُهُ لِلنَّصْفِ يَـــأْبَ وَيَعْصِنِـــي ... وَيَدْعُو لِحُكْمٍ جائِرٍ غَـــيْرُهُ الحُكْـــمُ

وَقَدْ كُنْتُ أَطْوِي الكَاشِحِينَ وَأَشْتَفِي ... وَأَقْطَعُ قَطْعًا لَيْـــسَ يَنْفَعُـــهُ الحَسْـــمُ

وَقَدْ كُنْتُ أَجْزِي النُّكْرَ بِالنُّكْرِ مِثْلَهُ ... وَأَحْلُمُ أَحْيانًا وَلَـــوْ عَظُـــمَ الجُـــرْمُ

وَلَوْلاَ اتِّقـــاءُ اللهِ، وَالرَّحِـــمُ الَّتِـــي ... رِعايَتُهـــا حَـــقٌّ وَتَعْطِيلُهـــا ظُلْـــمُ

إِذَنْ لَعَـــلاهُ بـــارِقِيٌّ وَخَطَّـــهُ ... بِوَشْـــمِ شَـــنارٍ لا يُشـــابِهُهُ وَشْـــمُ

وَيَسْعَى إِذَا أَبْنِي لِيَهْـــدِمَ صـــالِحِي ... وَلَيْسَ الَّذِي يَبْنِي كَمَنْ شَأْنُهُ الهَـــدْمُ

يَودُّ لَوَ انِّـــي مُعْـــدَمٌ ذُو خَصاصَـــةٍ ... وَأَكْرَهُ جَهْدِي أَنْ يُخالِطَـــهُ العُـــدْمُ

وَتَعْتَدُّ عَمَّـــا فِي الحَـــوادِثِ نَكْبَتِـــي ... وَما أَنْ لَهُ فِيهـــا سَـــناءٌ وَلا غُنْـــمُ

وَأُلْجِمُ عَنْـــهُ كُـــلَّ أَبْلَـــجَ طـــامِحٍ ... أَلَدَّ شَدِيْدِ الخَصْـــمِ غايَتُـــهُ العَشْـــمُ

فَمَا زِلْتُ فِـــي لِـــينٍ لَـــهُ وَتَعَطُّـــفٍ ... عَلَيْهِ كَما تَحْنُو عَلَـــى الوَلَـــدِ الأُمُّ

وَقَوْلِي إِذَا أَخْشَـــى عَلَيْـــهِ مُصِيْبَـــةً ... أَلاَ اسْلَمْ فِداكَ الخالُ ذُو الرِّفْدِ وَالعَمُّ

www.mtenback.com

وَسَتْرِي عَلى أَشْـــياءَ مِنْـــهُ تُرِيبُنِـــي ... وَكَظْمِي عَلى غَيْظِي وَقَدْ يَنْفَعُ الكَظْمُ
دَفَنْـــتُ انْثِلامًـــا بَيْنَنـــا فَرَقَعْتُـــــهُ ... بِرِفْقِي وَإِحْنائِي وَقَدْ يُرْقَـــعُ الثَّلْـــمُ
فَأَبْرَأْتُ غِلَّ الصَّـــدْرِ مِنْـــهُ تَوَسُّـــعًا ... بِحِلْمِي كَما يُشْفى بِأَدْوِيَـــةٍ كَلْـــمُ
وَأَطْفَأْتُ نارَ الحَرْبِ بَيْنِـــي وَبَيْنَـــهُ ... فَأَصْبَحَ بَعْدَ الحَرْبِ وَهْوَ لَنَـــا سِـــلْمُ

وهذا الشعر الذي كان عبد الملك يحفظه ويحفظ أمثاله هو لمعن بن أوس المزنـــي وهو من قصيدة تفيض حلمًا وصبرًا وتتدفق أناة وسعيًا إلى إصلاح ذات البين، بـــدت فيها مجاهدة شديدة من الضيم وظلم القريب لقريبه حسدًا وحقدًا، حتى عالج ذلـــك الداء العضال بالحلم الحقيقي مع قدرته على العقوبة فأصبح سلمًا بعد أن كان حربًـــا. ومثل هذه الأشعار يتمثل أصحاب الهمم العالية والنفوس الكبار.

ويحذرون في شعرهم من الغضب أيضًا، لأنّ الغضب غول الحلم قال شاعرهم:

أَرى الحِلْمَ رَئْيسًـــا لأَهْـــلِ النُّهـــى ... وَبِالغَيْظِ تَهْتـــاجُ نـــارُ الكُـــرَبْ
فَلا تَنْسَ حِلْمَـــكَ مَهْمـــا غَضِبْـــ ... ـتَ فَما أَحْسَنَ الحِلْمَ عِنْدَ الغَضَـــبْ

وإنما يحسنُ الحلم عند الغضب لأنه محك الاختبار ومظنة الإساءة بالانتقام، ولأن الراضي قد لا يصدر منه ما يؤذي. ولا يكون الحلم بالغًا مجديًا إلا إذا كان عند المقدرة ومع السخط، قال الثقفي[٨٧]:

وَلَيْسَ يَتِمُّ الحِلْـــمُ لِلْمَـــرْءِ رَاضِيًـــا ... إِذا هُوَ عِنْدَ السُّـــخْطِ لَـــمْ يَتَحَلَّـــمِ

وهذا مثل قولهم:

لَيْسَتِ الأَحْلامُ فِـــي حـــالِ الرِّضـــا ... إِنَّما الأَحْلامُ فِـــي حَـــالِ الغَضَـــبْ

[٨٧] ابن أبي الدنيا: الحلم، ص٥٦.

www.mtenback.com

لهذا كان الحلم عند الغضب هو أفضل ضروب الحلم عندهم، قال كثيّر عزة[٨٨]:

أَساءُوا فَإِن تَغْفِرْ فَإِنَّكَ أَهْلُهُ وَأَفْضَلُ حِلْمٍ حِسْبَةً حِلْمُ مُغْضَبِ

والعرب ترى الحلم كالشيب يصرف صاحبه عن التصابي، ويبعده عن اتباع الهوى؛ وهو كالتقوى أيضًا يحجز عن المعاصي. قال يزيد بن الحكم الثقفي[٨٩]:

شَرَيْتُ الصِّبا وَالجَهْلَ بِالحِلْمِ وَالتُّقى وَراجَعْتُ عَقْلِي وَالحَلِيْمُ المُراجِعُ

أَبى الشَّيْبُ وَالإِسْلامُ أَنْ أَتْبَعَ الهَوى وَفِي الشَّيْبِ وَالإِسْلامِ لِلْمَرْءِ وازِعُ

وهذا شبيه بقول كثير عزة الذي يحث فيه نفسه على ردع شهواتها بدواعي الرشد والكمال من حلم ودين وتصوّن عن اتباع الشهوات[٩٠]:

وَفِي الحِلْمِ وَالإِسْلامِ لِلْمَرْءِ وازِعٌ وَفِي تَرْكِ طاعاتِ الفُؤادِ المُتَيَّمِ

بَصائِرُ رُشْدٍ لِلْفَتى مُسْتَبِيْنَةٌ وَأَخْلاقُ صِدْقٍ عِلْمُها بِالتَّعَلُّمِ

ويريد شاعر أن يذكر نفسه بالتخلق بالحلم والتصبر لتزعوي عن آلام الحب وأهوائه، فيقول:

أَلا يُسْلِيكَ عَنْ سَلْمى قَتِيرُ الشَّيْبِ وَالحِلْمِ

وقال المرار الفقعسي معنفًا نفسه ومشددًا عليها لتظل متشحة بجلباب الوقار والتحلّم[٩١]:

عَزَفْتَ وَلَمْ تَصْرِمْ وَأَنْتَ صَرُومُ وَكيف تَصَابِي مَنْ يُقَالُ حَلِيمُ

---

[٨٨] كثير عزة، ديوانه: ص٣٥٢.

[٨٩] ابن أبي الدنيا: الحلم، ص٥٦.

[٩٠] الجاحظ، عمرو بن بحر: البيان والتبيين، سوسة، دار المعارف، ج١، ص١٩٧.

[٩١] الأغاني: للأصفهاني، ج٧، ص٨٦؛ ج١٠، ص٣٢٣.

www.mtenback.com

وقال دعبل الخزاعي[٩٢]:

تَأَسَّفَتْ جارَتي لَمّـــا رأَتْ كِـبَرَي ... وَعَدَّتِ الحِلْمَ ذَنْبًـــا غَـيْرَ مُغْتَفَـرِ

تَرْجُو الصِّبا بَعْدَما شابَتْ ذَوائِبُهَـــا ... وَقَدْ جَرَتْ طَلَقًا في حَلْبَـــةِ الكِـبَرِ

فقد شابت جارته، وحلُم هو فلا سبيل إلى الصبا.

وللعرب في الحلم وعناصره وما يتفرع عنه وما يصب في حقله أشعار تجل عـــن الحصر، وإنما سقنا منها في هذا الفصل شواهد ونماذج، ناظرين أن يرد الكثير ممـــا لم نورده هنا في سياق البحث حسبما تقتضيه المناسبة ويستدعيه موضع الاستشهاد. وهي في مجملها أشعار تمجد الحلم والحلماء وتدعو إلى تمثل الحلم في الحياة لأن بـــه يكـــون صفاء العيش وانتشار السلم وذيوع الفضيلة، وهو العلاج الشافي لكثير من المشـــكلات الاجتماعية التي تقلق البشرية وتنغّص عيشها وتهدد كيانها.

حقيقة الحلم وعناصره ومقوّماته

بعد درس معنى الحلم في اللغة وفحوى وروده في القرآن والســـنة والأثـــر وفي الحكم والأمثال والأقوال والأشعار، نحتاج إلى وقفة أخرى نتبين فيها حقيقة الحلـــم في نظر الأخلاقيين والمفكرين والحلماء لندرك ماهيته ونستبين حقيقته، ومن ذلك نســـتطيع أن نستنبط عناصره ومكوناته والفضائل المساندة التي لا يكون الحلم إلا بها. ولا يتـــم إلا باكتمالها والتحلي بها وهي خصال ملازمة لطبيعة الحليم متمكنـــة مـــن ســـلوكه وأصيلة في نفسه تظهر على تصرفاته حين يتعرض لما يثيره ويزلزل ثباته، في هذه الحـــال تتجلى ملامح الحلم وتعرف إشاراته وهي كثيرة.

فالحلم عمومًا هو سكون النفس عند دواعي الغضب أو كما قال الجرجـــاني: «الحلم هو الطمأنينة عند سورة الغضب»[٩٣]. وهو في المنظور الإسلامي الرفعة عنـــد

---

[٩٢] المسعودي: مروج الذهب، ج٨، ص١٦٢.

[٩٣] الجرجاني، علي بن محمد الشريف: كتاب التعريفات، بيروت، مكتبة لبنان، ١٩٨٥، ص ٩٨.

www.mtenback.com

الله، فقد جاء في الحديث عن النبي ﷺ: «ابتغوا الرفعة عند الله، قالوا وما هي يا رسول الله؟ قال: تصل من قطعك، وتعطي من حرمك وتحلم عمن جهل عليك»[٩٤].

وقيل لقيس بن عاصم الذي عرف بسيد أهل الوبر: ما الحلم؟ قال: أن تصل من قطعك وتعطي من حرمك وتعفو عمن ظلمك: وقيل للأحنف بن قيس سيد بني تميم: ما الحلم؟ فقال: قول إن لم يكن فعل، وصمت إن ضر قول[٩٥]. ولكنهم جميعًا لا يرون الحلم حلمًا إلا عند المقدرة فيقولون: ليس الحليم من ظلم فحلم حتى إذا قدر انتقم ولكن الحليم من ظلم فحلم ثم قدر فعفا. وقال معاوية لوفد من طيئ: من سيدكم؟ قالوا: خريم بن أوس، من احتمل شتمنا وأعطى سائلنا وحلم عن جاهلنا واحتمل فضل ضربنا إياه بعصينا[٩٦].

وذهب ابن قتيبة[٩٧] إلى أن فضائل العرب ست: العرض والحماسة والصدق والحلم والضيافة والصبر، وأن هذه الفضائل تكوّن المروءة التي هي فضيلة الفضائل أو الفضيلة الكبرى. ويذكر أن العرب كانت تتواصى بالحلم والحياء والتذمم وتنكر أضداد هذه الفضائل ويقرر أن هذه الفضائل جاهلية أقرّها الإسلام وأنكر أضدادها. ويرى أيضًا أن الحلم علة الذل في بعض الأحوال، لأن التعامي عن الذنوب والجرائم والشتم وما إليها يحط من قدر الإنسان. وسنرى أن الذل الذي قصدوه في معرض الحديث عن الحلم ليس هو الذل المطلق، وإنما هي أمور في طاقة الحليم ووسعه أن يتغاضى عنها، إن حلمًا أو تحلمًا، طلبًا لغايات أكبر؛ منها إصلاح العشيرة ورأب الصدع و لم الشمل، وهي غايات اجتماعية مقدرة.

---

[٩٤] أخرجه أحمد في المسند، ١٤٨/٤.

[٩٥] ابن عبد ربه: العقد الفريد، ج٢، ص٢٧٨-٢٧٩-٢٨٣.

[٩٦] ابن أبي الدنيا: الحلم، ٣٩.

[٩٧] ابن قتيبة: عيون الأخبار، ٢٧٨/١.

www.mtenback.com

ويرى قدامة بن جعفر[٩٨] أن الفضائل التي يمتدح بها هي: العقل والشجاعة والعدل والعفة ويرى أن الحلم عن سفاهة الجهلة من مركبات العقل. و لم يبعد قدامة أو غيره ممن جعل الحلم من العقل أو قال بأن الحلم هو العقل، و لم يبعد من قال إن «الحلم أرفع من العقل» فقوام المرء عقله والحلم خصلة من خصال العقل. ودعامة العقل الحلم كما يقول أكثم بن صيفي وجماع الأمر الصبر وخير الأمور العفو. والعاقل يحلم عمن ظلمه، ويتواضع لمن هو دونه ويسابق إلى البر من فوقه، وإذا رأى باب بر انتهزه، وإذا عرضت له فتنة اعتصم بالله وتنكّبها. فهذه صفات الحليم أيضًا. ويقولون: العقل عقلان: عقل الطبيعة وعقل التجربة[٩٩]، فهذه إشارة إلى أن من الحلم ما يكون طبعًا أصيلاً واستعدادًا طبيعيًا في نفوس الناس ممّا يسهّل تحلّيهم بهذا الخلق الرفيع، ومنه ما لا يأتي إلا بالجهد والمصابرة والتخلّق والتزام وسائل تربوية نفسية تعيد ذلك الخلق طبعًا أصيلاً كريمًا تتحلى به النفس وتجعله طبيعة لازمة.

ويذهب بعض العلماء إلى أن الحلم من الصفات النادرة. يقول الأصمعي: لا يكاد يجتمع عشرة إلا وفيهم مقاتل وأكثر، ويجتمع ألف ليس فيهم حليم[١٠٠].

ويعرفه الجاحظ بأنه: «الاسم الجامع لكل فضل وسلطان العقل القامع للهوى»[١٠١].

ويقسم المسعودي[١٠٢] الناس فيجعلهم أقسامًا ثلاثة: عاقل وأحمق وفاجر «أما العاقل فإن الدين شريعته والحكمة طبيعته والرأي الحسن سجيته، إن نطق أصاب وإن

---

[٩٨] قدامة بن جعفر: نقد الشعر، ليدن، ١٩٥٦، ص ٢٩.

[٩٩] ابن قتيبة: عيون الأخبار ج١، ص٢٧.

[١٠٠] المصدر السابق: ٢٨٧/٣.

[١٠١] الجاحظ: رسائل الجاحظ، ص٤٠.

[١٠٢] المسعودي: مروج الذهب ٣٢٣/٥.

www.mtenback.com

كلّم أجاب وإن سمع العلم وعى وإن سمع الفقه روى. وأما الأحمق فإن تكلم عجل وإن حدث ذهل وإن حمل على القبيح حمل..» فهو هنا وإن لم يصرح بالحلم والجهل فإن صفة العاقل هي صفة الحليم وصفة الأحمق هي صفة السفيه.

ويذهب أبو حيان[١٠٣] إلى أنه ليس في الدنيا خصلة يحسن فيها الإنسان إلى نفسه ويحمد عليها إلا الحلم وما يدخل معه كالصبر والكظم والتغافل والإغضاء ويرى أن الحلم سكينة إلهية وحلية ملكية وقنية عقلية وقد أطلق على الله عز وجل فما ظنك بما ينعت به رب العالمين ثم ينعت به بشر خلق من الماء والطين.

ويذهب ابن حزم الأندلسي[١٠٤] إلى أن الحلم نوع من أنواع النجدة، وهو فضيلة محمودة لأن المرء يكتسب به وبالصبر فضلاً زائداً ولأنه خصلة من الخصال التي يكثر بها الأخوان والأصدقاء.

ويقول ابن مسكويه[١٠٥] عن الحلم: إنه فضيلة للنفس تكسبها الطمأنينة فلا تكون شغبة ولا يحركها الغضب بسهولة وسرعة. وذلك بعد أن جعل الفضائل خمسًا: الحكمة والعفة والشجاعة والسخاء والعدالة، وجعل من فروع الشجاعة: كبر النفس والنجدة وعظم الهمة والثبات والحلم وعدم الطيش والشهامة واحتمال الكدّ.

ويذهب الإمام الغزالي[١٠٦] إلى أن الحلم أفضل من كظم الغيظ لأن كظم الغيظ هو التحلّم أي تكلف الحلم.

وهذا تنبيه إلى أمر نفسي دقيق، وهو بيان الفارق بين الطبع الأصيل الذي ينشأ عليه الإنسان ويُرَبّى عليه، وتمرّ به تجارب وحوادث تثبت هذا الطبع الذي يريد المرء أن

---

[١٠٣] أبو حيان التوحيدي، علي بن محمد: المقابسات، تحقيق: محمد توفيق حسن، بغداد، (١٩٧٠م)، ص٤٣٠.

[١٠٤] ابن حزم الأندلسي، علي بن أحمد بن سعيد: الأخلاق والسير، بيروت، (١٩٦١م)، ص ٥٧.

[١٠٥] مسكويه، أبو علي أحمد بن محمد: تهذيب الأخلاق، بيروت، (١٩٦٦م)، ص٢٢.

[١٠٦] الغزالي: إحياء علوم الدين، ج٣، ص١٧٦.

www.mtenback.com

يأخذ به نفسه لقناعة معينة و لم تتهيأ له بعدُ أسباب الرسوخ وأن تصطبغ به النفس في انفعالاتها وسلوكها.

ومن مجمل أقوالهم في الحلم يتبين أن الحلم هو مجموع مركب من عناصر كثيرة تمثل في مجموعها فضيلة الحلم مثل الأناة والتثبت وترك الغضب وضبط النفس والرفق والسماحة والرحمة والعفو والصبر والوقار.

فالحلم كما تقدم من مقومات السيادة وهو جماع كل فضل؛ لذلك فإن أصحاب الكتب التي تناولت أخلاق الملوك قدّموا فيها الحلم على كثير مما عداه من الأخلاق لفضله. والحليم يسود بعد أن يجتمع له كثير من خصال المروءة، سأل معاوية عرابة الأوسي عن أصل سيادته فقال: «يا أمير المؤمنين كنت أحلم عن جاهلهم وأعطي سائلهم وأسعى في حوائجهم»[١٠٧]. وذكر الأبشيهي أن هشام بن عروة إنما بلغ ما بلغ من المنزلة عند الناس بحلمه عن السفهاء وعفوه عن المسيئين وحلمه عن الضعفاء[١٠٨]. فكأنهما اتفقا على أن أصل السيادة في الحلم والعفو والإعانة. وإذا تتبعت خلال السيادة عند العرب وجدتها جميعًا تدور في فلك الحلم وتتفرع منه لتعود إليه. قال هشام بن عبد الملك لخالد بن صفوان: بم بلغ فيكم الأحنف ما بلغ؟ قال: إن شئت أخبرتك بخلة. وإن شئت بخلتين، وإن شئت بثلاث؛ قال: فما الخلة؟ قال كان أقوى الناس على نفسه، قال: فما الخلتان؟ قال: كان مُوَقَّى الشّر ملَقَّى الخير؛ قال: فما الثلاث؟ قال كان لا يجهل ولا يبغي ولا يبخل[١٠٩]. فإذا علمنا أن الأحنف كان سيدًا وكان من مشاهير حلماء العرب استطعنا أن نستنبط من الخبر كثيرًا من مقومات الحلم

---

[١٠٧] الغزالي: الإحياء ج٣، ص١٧٨.

[١٠٨] الأبشيهي: المستطرف، ج١، ص٢٦١.

[١٠٩] ابن عبد ربه الأندلسي: العقد الفريد، ج٢، ص٢٧٨.

www.mtenback.com

وعناصره؛ وأول ذلك ضبط النفس وترك الغضب، وكان صاحب معروف، وصنائع المعروف تقي مصارع السوء، وكان محسنًا، وكان وقورًا لا يجهل ولا يظلم، وكان كريمًا وهذه معظم صفات الحلماء وأكثر عناصر الحلم.

وإذا كان الأمر كذلك فنحتاج إلى وقفة نتأمل فيها أحوال الحلم ومقوماته وبواعثه ومكوناته. إنّ كثيرًا من الصفات والخلال التي نعرفها منفردة هي في نهاية المطاف تصب في مجرى الحلم، مثل كظم الغيظ والأناة والرفق وضبط النفس والصمت والصبر والتقوى والعلم ومداراة الناس والوقار والرزانة وما في معناها، فهذه الخلال في مجملها هي التي يمكن أن نسميها عناصر الحلم أو مركباته؛ لأن المتحلي بها يسمى حليمًا والمتصف بأضدادها، كالغضب والقسوة والعجلة والطيش والتهور والاندفاع والجزع والشماتة والفضول والحمق، يسمى سفيهًا أو جاهلاً.

أما فضيلة كظم الغيظ فإنها تتداخل مع الحلم تداخلاً يجعل فصلها عنه عسيرًا، لأن الحلم حلمان: حلم طبعي وحلم مكتسب، ولا يكون الحلم المكتسب إلا بالتحلم الذي هو كظم الغيظ. يقول الغزالي: «اعلم أن الحلم أفضل من كظم الغيظ لأن كظم الغيظ عبارة عن التحلم، أي: تكلُّف الحلم، ولا يحتاج إلى كظم الغيظ إلا من هاج غيظه ويحتاج فيه إلى مجاهدة شديدة، ولكن إذا تعود ذلك مدةً صار ذلك اعتيادًا فلا يهيج الغيظ وإن هاج فلا يكون في كظمه تعب وهو الحلم الطبيعي، وهو دلالة كمال العقل واستيلائه وانكسار قوة الغضب وخضوعها للعقل ولكن ابتداءه التحلم وكظم الغيظ تكلفًا»[١١٠] فكأن كظم الغيظ عند الغزالي درجة من درجات الحلم يترقى فيها المتحلم حتى يصبح حليمًا، اعتيادًا وطبعًا. ويرى الجاحظ أن حلم السادة المطاعين لم يكن إلا كظمًا للغيظ وتحلمًا في مستهلّه ثم قوي عوده واستوى فصار حلمًا، فيقول:

---

[١١٠] الغزالي: الإحياء ج٣، ص١٧٦.

www.mtenback.com

«والسيد المطاع لم يسهل عليه الكظم ولم يكن له كنف الحلم إلا بعد طول تجرُّع للغيظ ومقاساة للصبر، وقد كان معنَّى القلب دهره ومكدود النفس عمره، والحرب سجال بينه وبين الحلم ودولٌ بينه وبين الكظم، فلما انقادت له العشيرة وسمحت له بالطاعة ووثق بظهور القدرة خلال المعجزة سهل عليه الصبر وغمر بعلوّه دواعي الجزع وبطلت المجاذبة وذهبت المساجلة، والذي كان دعاه إلى تكلُّف الحلم في بدء أمره وإلى احتمال المكروه في أول شأنه، الأملُ في الرئاسة والطمع في السيادة، ثم لم يتم له أمره ولم يستحكم له عقده إلا بعد ثلاثة أشياء: الاحتمال ثم الاعتياد ثم ظهور طاعة الرجال. ولولا خوف جميع المظلومين من أن يُظنَّ بهم العجز وأن يوجَّه احتمالُهم إلى الذل لزاحم السادة في الحلم رجالٌ ليسوا في أنفسهم بدونهم ولغمرهم بعضُ من ليس معه من أسبابهم ما لهم»[111].

فالجاحظ يشترط في السيد شرطين هما كظم الغيظ والصبر على الأذى، وكلاهما لا يخرج عن دائرة الحلم.

وإنما كان كظم الغيظ من خلال الحلماء لأنه يدل على قوة صاحبه ويدفع الشر، ومن هنا ذكرت هذه الفضيلة في القرآن في معرض المدح في الآية التي تقدم الاستشهاد بها من قبل وهي قوله تعالى: ﴿وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ﴾[112]. فقد مدحهم وسماهم محسنين وعرفهم أنه يحبهم. وقوله ﷺ: «ما من جرعة أعظم أجرًا عند الله من جرعة غيظ كظمها عبد ابتغاء وجه الله»[113]. وقال عمر رضي الله عنه: من اتق الله لم يشف غيظه، ومن خاف الله لم يفعل ما يشاء، ولولا يوم القيامة لكان غير ما ترون.

---

[111] الجاحظ: رسائل الجاحظ، ص٢٨١.

[112] سورة آل عمران: ١٣٤.

[113] ابن ماجة، كتاب الزهد، حديث رقم ٤١٨٩.

www.mtenback.com

وقال لقمان لابنه: يابني لا تذهب ماء وجهك بالمسألة، ولا تشف غيظك بفضيحتك واعرف قدرك تنفعك معيشتك. وقال أيوب: حلم ساعة يدفع شرًا كثيراً[١١٤].

وكظم الغيظ هو قوام الحلم وزينته، قال سعيد بن عطارد: «قال بعض الحكماء: زين المرء الإسلام، وزين الإسلام العقل، وزين العقل الحلم، وزين الحلم الكظم، وزين الكظم التدبر والتفكر، وزين التدبر الصبر وزين التصبّر الوقوف عند الطاعة والمعصية»[١١٥].

وتشبه كظم الغيظ خلة أخرى من خلال الحلماء هي ضبط النفس، وهي أن يملك الإنسان نفسه فيجتنب الغضب، قال ابن عباس لصعصعة بن صوحان: من الحليم فيكم؟ قال: من ملك غضبه فلم يعجل وسُعِي إليه بحق أو بباطل فلم يقبل، ووجد قاتل أبيه أو أخيه فصفح فلم يقتل[١١٦].ومع قلة المتصفين بمثل هذه الصفة ولكنها إذا وجدت فهي من مقوماتِ الحلم التي لا غناء للحليم عنها.

ويحتاج الحليم إلى ضبط النفس وهو أخو كظم الغيظ، فإذا رزق المرء صبراً على الأذى فتجرع الغيظ بتحمله الأذى وترك الغضب وماتت لديه الرغبة في الانتقام فقد حلُم؛ لأن الإنسان يحلم فيلين ويعفو. قال ابن قتيبة: «وقع بين أبي مسلم وقائد له كلام، فأربى عليه القائد إلى أن قال له: يا لقيط! فأطرق أبو مسلم، فلما سكنت عنه فورة الغضب ندم وعلم أنه قد أخطأ، واعتذر وقال: أيها الأمير، والله ما انبسطت حتى بسطتني ولا نطقت حتى أنطقتني فاغفر لي؛ قال: قد فعلت؛ فقال: إني أحب أن استوثق لنفسي، فقال أبو مسلم: سبحان الله! أكنت تسيء وأحسن، فلما أحسنت أسيء؟!»[١١٧].

---

[١١٤] عساف، الشيخ أحمد محمد: بغية الطالبين، بيروت، دار إحياء العلوم، (د.ت)، ص١٥٦.

[١١٥] ابن أبي الدنيا: الحلم ٦٢.

[١١٦] المسعودي: مروج الذهب، ج٥، ص١٠٧.

[١١٧] ابن قتيبة: عيون الأخبار ١/١٠٦.

www.mtenback.com

فهذا القائد لم يضبط نفسه، وقد خف حلمه وتبع غضبه و لم يحكّم عقله في لسانه، فألجأه عز الغضب إلى ذل الاعتذار. وطالما حذرت الحكماء والحلماء من مثل هذا لأنه ضرب من ضروب الرأي المدبر. وإنما ينبغي للمرء أن يقيد عواطفه بعقله فلا تكون العاطفة سابقة للعقل متقدمة عليه، ولذلك ما أخطأ من جعل الحلم و العقل شيئًا واحدًا.

وإنما يتجرع الناس غصص الغيظ طلبًا لإحراز فضيلة الحلم وطلبًا للأجر والثواب، أو اتباعًا للعقل لأن مجاوبة المجترئ عليك قد تقود إلى أن يسمعك أكثر مما سمعت، لذلك قالوا: من لم يسكت عن كلمة سمع كلمات. يقول الأحنف أو غيره[118]:

وَلَرُبَّما ضَحِكَ الحَلِيمُ مِنَ الأَذى ... وَفُؤادُهُ مِنْ حَرِّهِ يَتَأَوَّهُ

وَلَرُبَّما شَكَلَ الحَلِيمُ لِسانَهُ ... حَذَرَ الجَوابِ وَإِنَّه لَمُفَوَّهُ

ومع ذلك فطالما حذروا من غضبة الحليم، ولا يُعرف متى يخرج المرء عن طوره، أو يقلّ صبره ويضعف احتماله، أو تزيد دواعي الغضب في نفسه والانتصار لها قال أحدهم:

فَلا يَغْرُرْكَ طُولُ الحِلْمِ مِنّي ... فَما أَبَدًا تُصادِفُني حَلِيما

وقال البحتري[119]:

نَهَيْتُكَ عن تَعَرُّضِ عِرْضِ حُرٍّ ... فإنَّ الذَّمَّ مِنْ شَأْنِ الذَّمِيمِ

وقُلْتُ: تَوَقَّ مُحْتَمِلاً يُوَرِّي ... عَنِ الأَضْغانِ بالخُلُقِ الكَرِيمِ

---

[118] ابن عبد ربه: العقد الفريد ج٢، ص٢٨٣.

[119] البحتري: ديوان البحتري، ص٢٠٧٩.

www.mtenback.com

فَما خُـــرْقُ السَّـــفيهِ وَإِنْ تَعَـــدَّى ... بِأَبْلَغَ فِيكَ مِـــنْ حِقْـــدِ الحَلِيـــمِ

إِذا أَحْرَجْـــتَ ذا كَـــرَمٍ تَخَطَّـــى ... إِلَيْكَ بِبَعْـــضِ أَخْـــلاقِ اللَّئِيـــمِ

ومن خصال المروءة الأناة والرفق. فهما توأم الحلم، قال علي رضـــي الله عنـــه الأناة والحلم توءمان ينتجهما علوّ الهمة. وروي أنه وفد على رسول الله ﷺ المنذر بن عائذ بن الحارث ولقبه الأشجّ فأناخ راحلته ثم عقلها وطرح عنه ثوبين كانـــا عليـــه وأخرج من العيبة (وعاء الملابس) ثوبين حسنين فلبسهما، وذلك بعين رســـول الله ﷺ يرى ما يصنع، ثم أقبل يمشي إلى رسول الله ﷺ فقال عليه الصلاة والسلام: إنّ فيك يا أشجّ خلقين يحبهما الله ورسوله. قال: ما هما بأبي أنت وأمي يا رســـول الله؟ قـــال: الحلم والأناة. فقال: الحمد لله الذي جبلني على خلقين يحبهما الله ورسوله[١٢٠].

وقد مدح الله تعالى الأناة والتثبت لأن عاقبتهما خير، يقول تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا﴾[١٢١]. وقرئ فتثبّتوا. وقال النبي ﷺ: «الأناةُ من الله والعجلة من الشيطان»[١٢٢]. وقال الحكماء: ينبغي للوالي أن يتثبّت فيما أنهي إليه، ولا يتعجل، ويتأنى ويتمهّل حتى ينظر ويستكشف الحال، ويأخذ بأدب ســـليمان عليـــه السلام حيث قال: ﴿سَنَنظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾[١٢٣]. ولمثل هذا الســـبب قدمنا في أول هذا الفصل أن أصحاب السلطة والقرار مهما كان موقعهـــم مطـــالبون بالحلم، حتى لا يقع الظلم بإنزال العقوبة على من لم يستوجبها أو على مَـــن يرجـــى صلاحه والخير منه بالعفو عنه والحِلم.

---

[١٢٠] أخرجه مسلم في كتاب الإيمان، حديث رقم ٢٦٢٥.

[١٢١] سورة الحجرات: ٦.

[١٢٢] رواه الترمذي، باب السير، ٦٥.

[١٢٣] سورة النمل: ٢٧.

www.mtenback.com

والحليم سليم الرأي قد أفادته التجارب وهو خبير باستثمار الفرص يعرف متى تكون الأناة خيراً ومتى يتقدم في قول أو عمل. وهو الذي عناه كثير عزة بقوله[١٢٤]:

حَلِيمٌ كَرِيمٌ ذُو أَنَاةٍ وَأُدْبَةٍ بَصِيرٌ إِذا ما كَفَّةُ الحَبْلِ جَرَّت

أما الرفق فهو «ثني الحلم» كما قال وهب بن منبه[١٢٥]، والرفق والأناة صنوان لأن الرفق في أمر هو التأني في إتيانه. وقد عرفنا أن الأناة توءم الحلم والرفق ثنيه،ومن هنا فإن الحلم والأناة والرفق شقائق. يقول الرسول ﷺ: «ما كان الرفق في شيء إلا زانه ولا نزع من شيء إلا شانه»[١٢٦]. وفي حديث أنس: إن الله رفيق يحب الرفق ويعطي عليه ما لا يعطي على العنف». وقال أيضًا: «إن الله رفيق يحب الرفق في الأمر كله»[١٢٧]. وجعل الرسول ﷺ في الرفق خيري الدنيا والآخرة حيث يقول: «من أوتي حظه من الرفق فقد أوتي حظه من خير الدنيا والآخرة»[١٢٨].

وقالت الحكماء: يدرك بالرفق ما لا يدرك بالعنف، ألا ترى أن الماء على لينه يقطع الحجر على شدته. ولحظ ذلك أشجع بن عمرو السلمي حين مدح جعفر البرمكي فقال:

مَا كَانَ يُدْرَكُ بِالرِّجَالِ وَلا بِالمَالِ مَا أَدْرَكْتَ بِالرِّفْقِ

وربط النابغة بين الرفق والأناة وإدراك النجاح وتحقيق المطالب حين قال[١٢٩]:

الرِّفْقُ يُمْنٌ وَالأَنَاةُ سَعَادَةٌ فَاسْتَأْنِ في رِفْقٍ تُلاقِ نَجاحا

---

[١٢٤] كثير عزة: ديوانه، ص ٣٢٥.

[١٢٥] عساف: بغية الطالبين ١٦٣.

[١٢٦] أخرجه مسلم، في الصحيح كتاب البر، حديث رقم ٧٨.

[١٢٧] أخرجه البخاري، في الصحيح، كتاب الاستتابة، باب٤، حديث رقم ٦٩٢٧.

[١٢٨] أخرجه الترمذي في الجامع كتاب البر والصلة، باب ٦٧، حديث رقم ٢٠١٣.

[١٢٩] ابن عبد ربه: العقد الفريد ٢/٣٦٠.

www.mtenback.com

وقد ساق الجاحظ في بعض كتبه قصة القاضي الذي كان موصوفًا بالرزانة والوقار فأبدع في وصفه وتصويره وبالغ في وصف حلمه وزماته وركانته حتى كاد يخرج به إلى المبالغة المقيتة، والأمر أيسر مما ذهب إليه لولا طلب المُلحة[١٣٠].

وتتبع الوقار صفة أخرى من صفات الحلماء تعدّ من أهم مقومات الحلم وهي الصمت. فهو ملاذ الحليم يأوي إليه حتى تسكن فورة الغضب مثل الذي يطأطئ للريح حتى تمرّ. والحليم حين يصمت يمنح نفسه فرصة إجالة الفكر ليصدر عن رأي سديد إذا احتاج إلى الردّ؛ لذلك قالوا: السكوت سلامة، وهو مصدر الهيبة حتى قالت العرب «استكثَرَ من الهيبة الصمَّوت». وقال المنصور لرجل أتاه تائبًا معتذرًا من ذنب: عهدي بك خطيبًا فما هذا السكوت؟ فقال: «يا أمير المؤمنين، لسنا وفد مباهاة وإنما نحن وفد توبة والتوبة تتلقى بالاستكانة». فالحليم يعرف وقت السكوت ووقت الكلام. ذكروا أن رجلاً شتم المهلب فلم يجبه، فقيل له: حلمت عنه؟ قال: «ما أعرف مساويه وكرهت أن أبهته بما ليس فيه»[١٣١] فهذا حلم وعفو وإنصاف وتحكيم للعقل بليغ، وكان قال مرةً لبنيه: اتقوا زلة اللسان، فإني وجدت الرجل تعثر قدمه فيقوم من عثرته، ويزل لسانه فيكون فيه هلاكه. وهذا أشبه بقولهم: مقتل الرجل بين فكيه.

وقالوا الصمت حكم وقليل فاعله. وقالوا أيضًا: الندم على السكوت خير من الندم على الكلام[١٣٢].

والحليم لا يتخذ صديقًا في السر ولا عدوًا في العلانية، لذلك قالوا: من حسنت مداراته كان في ذمة الحمد والسلامة. وبالمداراة تساس الأمور، والسياسة شأن الملوك وهم أحوج الناس إلى الحلم إذ به يكون ثبات الملك. قيل أوقع الحجاج يومًا بخالد بن

---

[١٣٠] انظر: الجاحظ: الحيوان ٣/٣٤٣ - ٣٤٥.

[١٣١] ابن قتيبة: عيون الأخبار ١/٢٨٣.

[١٣٢] ابن عبد ربه: العقد الفريد ٣/٨٢.

www.mtenback.com

يزيد يعيبه وينتقصه وعنده عمرو بن عُتبة، فقال عمرو: إن خالداً أدرك من قبله وأتعب من بعده بقديم غلب عليه وحديث لم يسبق إليه، فقال الحجاج معتذراً: يابن عتبة، إنا لنسترضيكم بأن نغضب عليكم ونستعطفكم بأن ننال منكم، وقد غلبتم على الحلم فوثقنا لكم به وعلمنا أنكم تحبون أن تحلموا فتعرضنا للذي تحبون[١٣٣].

وحكماء العرب يقولون: إن من الناس ناساً ينقصونك إذا زدتهم، وتهون عندهم إذا خاصصتهم، ليس لرضاهم موضع تعرفه، ولا لسخطهم موضع تحذره، فإذا عرفت أولئك بأعيانهم فابذل لهم موضع المودة، واحرمهم موضع الخاصة يكن ما بذلت لهم من المودة حائلاً دون شرهم وما حرمتهم من الخاصة قاطعاً لحرمتهم[١٣٤].

ويحتاج المرء إلى الحلم وإلى المداراة عندما تستعصي عليه الأمور ولا تجري بحسب هواه، فهنا تشتد الحاجة إلى الحلم والصبر، لذلك قالوا: لاينْ إذا عزّك من تخاشنه. وقالوا: من لم يلن للأمور عند التوائها تعرض لمكروه بلائها. وقال أبو سليمان الخطابي[١٣٥]:

ما دُمْتَ حَيًّا فَدارِ النَّاسَ كُلَّهُمُ ... فَإِنَّما أَنْتَ في دارِ المُداراةِ

وقال صالح بن عبد القدوس[١٣٦]:

تَجَنَّبْ صَدِيقَ السُّوْءِ وَاصْرِمْ حِبالَهُ ... وَإِنْ لَمْ تَجِدْ عَنْهُ مَحِيْصًا فَدارِهِ

وَمَنْ يَطْلُبِ المَعْرُوفَ مِنْ غَيْرِ أَهْلِهِ ... يَجِدْهُ وَراءَ البَحْرِ أَوْ فِي قَرارِهِ

وَلِلّهِ فِي عَرْضِ السَّمَواتِ جَنَّةٌ ... وَلَكِنَّها مَحْفُوفَةٌ بِالمَكارِهِ

---

[١٣٣] ابن قتيبة: عيون الأخبار ج١، ص١٠٦.

[١٣٤] ابن عبد ربه: العقد الفريد ج٢، ص٣٣٦.

[١٣٥] الثعالبي، أبو منصور عبد الملك بن محمد: التمثيل والمحاضرة، تحقيق: عبد الفتاح الحلو، الدار العربية للكتاب، (د.ت)، ٤١٩.

[١٣٦] ابن عبد ربه: العقد الفريد ج٢، ص٣٣٦.

www.mtenback.com

وليس شيء من خلال الخير محفوفًا بالمكاره أكثر من الحلم. فإذا لم يكن أمام الحليم إلا الشّدة أو مصانعة الأشرار واتقاء الجهال والسفهاء كانت المداراة أهون الضررين وأخفهما.

أما العلم فهو قرين الحلم وسبيله المفضي إليه في كثير من الأحيان، لما يورث من فضائل في النفس ويرقى بها. فقد قالوا: من تمام آلة العالم أن يكون شديد الهيبة، رزين المجلس وقورًا صموتًا، بطيء الالتفات، قليل الإشارات، ساكن الحركات، لا يصخب ولا يغضب، ولا يُبْهَر في كلامه..[١٣٧] وهذه من صفات الحليم حَذْو القذة بالقذة. وفي حديث عليّ رضي الله عنه إلى كميل النخعي: الناس ثلاثة: عالم رباني، ومتعلم على سبيل نجاة، وهمج رعاع أتباع كل ناعق مع كل ريح يميلون، لم يستضيئوا بنور العلم ولم يلجأوا إلى ركن وثيق...[١٣٨]. العلم دين يدان به يكسب الإنسان الطاعة في حياته وجميل الأحدوثة بعد وفاته وهذه أيضًا صفات الحلماء وثمار الحلم.

والعلم شرف والحلم شرف وكلاهما من خصال المروءة. يقول سابق البربري:

العِلْمُ زَيْنٌ وَتَشْرِيفٌ لِصاحِبِهِ وَالجَهْلُ وَالنَّوْكُ مَقْرُونانِ في قَرَنِ

وقرن ذكر الحلم بالعلم في كثير من الأحاديث مثل «العلم بالتعلم والحلم بالتحلم» ودعاء الرسول «اللهم أغنني بالعلم وزيني بالحلم». وقالوا: «الحلم لباس العلم، فلا تَعْرَيْنَ منه»[١٣٩]. وقد مضى هذا في فصل الحلم في الحديث الشريف.

وإذا كان الحلم زين الحليم فإن العلم زين الحلم وقد جاء في الحديث: «زين العلم حلم أهله»[١٤٠] فجعل العلم زينًا للحلم أيضًا. وقالوا: ما أوى شيء إلى شيء

---

[١٣٧] ابن عبد ربه: العقد الفريد ج٢، ص٢٢٠.

[١٣٨] المصدر السابق، ص٢١٢

[١٣٩] ابن أبي الدنيا: الحلم، ٥٩.

[١٤٠] أخرجه الدارمي، المقدمة: ٤٨.

www.mtenback.com

أزين من حلم إلى علم. فإذا اجتمع العلم والحلم فذلك مبلغ ما يطمع إليه العاقل. قال محمد بن عجلان: ما شيء أشد على الشيطان من عالم معه حلم، إن تكلم تكلم بعلم وإن سكت سكت بحلم، يقول الشيطان: سكوته أشد عليّ من كلامه»[١٤١] فالحليم العالم يدري متى ينبغي له أن يحلم ومتى ينبغي له أن يغضب لانتهاك حرمات الله. وهذه صفة إيجابية تعمل على إصلاح الفرد والمجتمع في آن واحد.

وأما التقوى فإنها أيضًا مقوم أساسي من مقومات الحلم. فالتقوى هي العدة الوافية والجُنّة الواقية. وهي خصلة جامعة لخيري الدنيا والآخرة، وكان يقال: «في ظاهر التقوى شرف الدنيا وفي باطنها شرف الآخرة. وسادة الناس في الدنيا الأسخياء وفي الآخرة الأتقياء»[١٤٢]. فالتقي حليم ديانةً، فهو لا يبغي ولا يظلم ولا يتجاوز وأقل حالاته الإنصاف. وإذا كان الجاهليون يعفون مروءة وطلبًا لحسن الأثر، فالتقي يعفو تدينًا رغبة في الثواب. والتقوى حاجزة عن كثير من السوء، قال عمر رحمه الله: «من اتقى الله لم يشف غيظه»، فصارت التقوى نظير الحلم في كظم الغيظ. و«شتم رجل أباذر رضي الله عنه فقال له: يا هذا لا تستغرق في شتمنا ودع للصلح موضعًا فإنا لا نكافئ من عصا الله فينا بأكثر من أن نطيع الله فيه. وكانت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها صائمة فأمرت جاريتها بريرة أن تصنع لها طعامًا لتفطر به، فتشاغلت بريرة عن ذلك حتى مضى النهار وجاء المغرب فلم تجد أم المؤمنين طعامًا، فالتفتت إليها، وقالت وهي تكظم غيظها: «لله درُّ التقوى لم تدع لذي غيظ شفاء»[١٤٣]. فالتقي لا يشفي غيظه، يمنعه من ذلك تقواه. التقوى لدى المسلم ضربٌ من ضروب الحلم، أو هي الحلم نفسه بمفهوم إسلامي.

---

[١٤١] ابن قتيبة: عيون الأخبار ج١، ص٢٨٢.

[١٤٢] الثعالبي: التمثيل والمحاضرة، ٤٢٥.

[١٤٣] ابن أبي الدنيا، الحلم ٩.

www.mtenback.com

ومما أضافه الإسلام إلى مقومات الحلم فضيلة الاحتساب، فإن المسلم يعفو عمن ظلمه ويعطي من حرمه ويحسن إلى من أساء إليه، ابتغاء مرضاة الله واحتسابًا للأجر والثواب عنده ورجاء العاقبة الحسنة يوم الحساب. وهذا ما لم يكن معروفًا في الجاهلية، فقد كانوا يحلمون صبرًا وتجملاً وطلبًا للشهرة وحسن الأثر. أما الاحتساب فما عرفوه إذ هو مقتضى الإيمان بالله على الوجه الذي يعتقده المسلمون.

وعلى الجملة فإن كظم الغيظ وضبط النفس والأناة والرفق والصمت والوقار والمداراة والصبر هي أبرز مقومات الحلم كما عرفته العرب قبل الإسلام. ثم جاء الإسلام، وهو دين الحلم والمروءة الجامع لكل خصال الخير، فأقر هذه الفضائل وهذبها وقننها لما لها من أثر طيب في بناء الفرد والمجتمع، وجعل العلم قرينًا للحلم ثم أضاف خصلتين إيمانيتين تجعلان الحلم طريقًا لخير الدنيا والآخرة بعد أن كان طريقًا لخير الدنيا فقط وهما التقوى والاحتساب وطلب مرضاة الله وحلمه عن الحلماء.

الحلم والتحلم:

قد اختلف الناس في الحلم أيكون طبعًا ينشأ عليه صاحبه أم هو مما يمكن اكتسابه، وفصّلوا في أنّ «الحلم إمساك النفس عن هيجان الغضب، والتحلّم إمساكها عن قضاء الوطر إذا هاج الغضب»[١٤٤]. فالحلم الطبيعي هو ما جبل عليه الإنسان، والتحلم هو الحلم المكتسب بالتجربة والمعايشة. وقد أشرنا إلى تفريق الإمام الغزالي بين الحلم والتحلم فيما سبق إذ يرى أن الحلم يبدأ بالتحالم وتجرع الغيظ حتى يصبح عادة وطبيعة.

ويرى المستشرق شارل بيلا بعد دراسة مطولة للحلم أن «الحلم في الواقع حلمان: طبيعي ومكتسب. أما الحلم الطبيعي في درجته العليا فصفة الإنسان الفاضل

[١٤٤] ابن أبي الدنيا: الحلم ص ١٧ نقلاً عن حواشي المحقق ينسبه للرازي.

www.mtenback.com

الذي يسير سيرة صالحة، وقد يسوّده قومه إقراراً بفضله، وأما الحلم المكتسب فيشتمل على جميع الخصال المتقدمة، الأناة، عدم الغضب، الرفق، ضبط النفس، الرحمة، الصبر، الوقار وغيرها، إلا أن العيوب المومأ إليها لا تنعدم بل تقمع، فإن المرء تحمله الحركة الغضبية على الاغتياظ ولكنه يجاهد نفسه ويكظم غيظه»[١٤٥]. لذلك قال الثقفي:

وَلَيْسَ يَتِمُّ الحِلْمُ لِلْمَرْءِ راضِيًا ... إِذا هُوَ عِنْدَ السُّخْطِ لَمْ يَتَحَلَّمِ

كَما لا يَتِمُّ الجُودُ لِلْمَرْءِ مُثْرِيًا ... إِذا هُوَ لاقى العُسْرَ لَمْ يَتَجَشَّمِ

ويقول أبو حاتم البستي: «العاقل يلزم الحلم عن الناس كافة، فإن صعب عليه ذلك فليتحالم لأنه يرتقي به إلى درجة الحلم، والواجب على العاقل إذا غضب واحتد أن يذكر حلم الله عنه مع تواتر انتهاكه محارمه، وتعديه حرماته ثم يحلم؟ ولا يخرجه غيظه إلى الدخول في أسباب المعاصي»[١٤٦].

إن مشاهير حلماء العرب يقرون بأن الحلم يكون بالتحلم، فقد قال الأحنف بن قيس: «لست حليماً ولكني أتحالم»[١٤٧]. وقيل له: «ممن تعلمت الحلم؟ فقال: من قيس ابن عاصم المنقري. وقال: لقد اختلفنا إلى قيس بن عاصم في الحلم كما نختلف إلى الفقهاء في الفقه». وقال له رجل: علّمني الحلم يا أبا بحر؛ قال: «هو الذل يا بن أخي أفتصبر عليه»[١٤٨].

وأغلظ عبد لسيده، فقال: «إني أصبر لهذا الغلام على ما ترون لأروض نفسي بذلك، فإذا صبرت للمملوك على المكروه كنت لغير المملوك أصبر»[١٤٩].

---

[١٤٥] شارل بيلا: رسالة في الحلم، دار الكتاب الجديد، بيروت، (١٩٧٣م)، ١٦٣.

[١٤٦] البستي، أبو حاتم، محمد بن حبّان بن أحمد: روضة العقلاء، الرياض، دار الشريف ١٤١، ص٢٩٠.

[١٤٧] ابن عبد ربه: العقد ج٢، ص٢٧٧.

[١٤٨] ابن قتيبة: عيون الأخبار ٢٨٧/٣.

[١٤٩] المصدر السابق، ص٢٨٨.

www.mtenback.com

وروى أبو جعفر الخطمي عن جده عمير وكانت له صحبة- أنه أوصى بنيه فقال: يا بَنيّ إياكم ومجالسة السفهاء فإن مجالستهم دناءة، من يحلم على السفيه يسر بحلمه ومن يجبه يندم، ومن يصبر على مايكره يدرك ما يحب، وإذا أراد أحدكم أن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر فليوطن نفسه على الصبر على الأذى ويثق بالثواب من الله، فإن وثق بالثواب لم يجد مسّ الأذى[١٥٠].

وتكلف الحلم أمر محمود عندهم، قال علي رضي الله عنه: إن لم تكن حليمًا فتحلّم. ونقل ذلك الجاحظ فقال: «كانوا يأمرون بالتحلّم والتعلّم والتقدم في ذلك أشد التقدم»[١٥١].

والتأدب بالشعر وما يدعو إليه من التزام الفضائل ومما يفصل في محامدها وحسناتها؛ هو أحد أسباب التحلّم، فكم من شعر ردّده إنسان فردّه عن كثير من السوء. وقد مرّت بنا الأبيات التي أنشدها عبدالرحمن بن الحكم حين شتمه جماعة من بني جمح فقال لهم: «وأيم الله ما يمنعني منكم إلا شعر عرض لي، فذلك الذي حجزني عنكم»[١٥٢] وقد أوردناه في فصل الشعر.

وكان عمرو بن العاص يتحالم، فقد روى المبرّد أن رجلاً جُعِلَ له ألف درهم على أن يسأل عمرو بن العاص عن أمّه، ولم تكن في موضع مَرْضِيّ، فأتاه الرجل وهو بمصر أميرًا عليها فقال: أردت أن أعرف أم الأمير فقال: نعم، كانت من عنزة ثم من بني جلاّن تسمى ليلى وتلقّب النابغة، اذهب وخذ ما جعل لك. وقال له مرة المنذر بن الجارود: أي رجل أنت لولا أمك، قال: فإني أحمد الله إليك أني فكرت في هذه

---

[١٥٠] ابن أبي الدنيا: الحلم، ٣١.

[١٥١] الجاحظ: البيان والتبيين ج١، ص١٩٧، شرح نهج البلاغة ج٤، ص٣٣٥.

[١٥٢] ابن أبي الدنيا: الحلم ٤٤.

www.mtenback.com

البارحة فأقبلت أنقلها في قبائل العرب فما خطرت لي عبد القيس على بال[١٥٣].

ودخل مكة فرأى قومًا من قريش قد جلسوا حلقة فلما رأوه رموه بأبصارهم فعدل إليهم فقال: أحسبكم كنتم في شيء من ذكري، قالوا أجل، كنا نُمَيِّل بينك وبين أخيكَ هشام، أيكما أفضل؟ فقال عمرو: إن لهشام عليّ أربعًا: أمه ابنة هشام بن المغيرة وأمي من قد عرفتم، وكان أحب إلى أبيه مني وقد عرفتم معرفة الوالد بالولد، وأسلم قبلي واستشهد وبقيتُ.

فقد أظهر ابن العاص حلمًا عن سائله الأول ولكنه غلب عليه الطبع فأغلظ في الردّ على الثاني، مع ما أظهره من حلم وتواضع في الموقف الأخير. وفي هذا دليل على خلق حميد، وإثبات لطبع النفس البشرية في تقلبها حسب الحالات النفسانية، وأنها لا تقدر أن تكون على حال دائم من الكمال. وفيه دليل أيضًا على أن الحليم مهما استعصم بحلمه فقد تمر به مواقف لا تسعفه فيها بوادر الحلم؛ وقد روى المبرّد أيضًا سقطة للأحنف في هذا الباب، وذلك أن عمرو بن الأهتم دسّ إليه رجلاً ليسفهه فقال له: يا أبا بحر، ما كان أبوك في قومه؟ قال: كان من أوسطهم لم يَسُدْهُم و لم يتخلف عنهم، فرجع إليه ثانية ففطن الأحنف أنه من قبل ابن الأهتم فقال له: ما كان مال أبيك؟ فقال الأحنف: كانت له صرمة - قطعة من الأنعام - يمنح منها ويقري و لم يك أَهْتَمَ سَلاَّحا[١٥٤].

على أنّ هذه الأخبار وأشباهها في الواقع ليست سقطًا من الحلم بقدر ما هي إشارة إلى صاحب القصة السيئ - الذي يمتحن حلمه - بأنه لا يغفل عمّا يراد به ويحاك له.

---

[١٥٣] المبرد، أبو العباس محمد بن يزيد: الكامل في اللغة والأدب، بيروت، مكتبة المعارف (١٣٨٦هـ)، ج٢، ص٧١.

[١٥٤] المبرد: الكامل ج٢، ص٧١.

www.mtenback.com

وحدث ابن عيينة قال: كان عروة بن الزبير إذا أسرع إليه رجل بشتم أو قول سيّئ لم يجبه وقال: إني أتركك رفعًا لنفسي عنك. فجرى بينه وبين علي بن عبدالله كلام، فأسرع إليه، فقال علي: خفّض عليك أيها الرجل فإني أتركك اليوم لما كنت تترك له الناس[١٥٥].

ورغم أن دافع التحلّم عندهم في الغالب هو طلب المروءة والرفعة ومعالي الأمور، ثم جاء الإسلام وأضاف التقوى التي هي صنو الحلم في رفع صاحبها عن سفاسف الأمور، ولكنهم مع ذلك قد يتحلمون ترفعًا واستصغارًا لشأن مخاصمهم، يظهر ذلك في قول الشاعر[١٥٦]:

فَعَدِّ عَنْ شَتْمِي فَإِنِّي امْرُؤٌ حَلَّمَنِي قِلَّةُ أَكْفائِي

فهو يرد على نظيره ومكافئه فقط، أما من كان دون ذلك فهو يتحلم معه ويغضي عمّا يبدر منه ترفعًا وأنفة.

وهذا المسلك يؤكده موقف الأحنف بن قيس من رجل دُسَّ له وجعل يسفهّه ويسبه سبًا مغضبًا والأحنف مطرق صامت، فلما رآه لا يكلّمه أقبل الرجل يعضّ إبهامه ويقول: «يا سوأتاه والله ما يمنعه من جوابي إلاّ هواني عليه»[١٥٧]. وهذا يدلّ على أن الحلم يمكن أن يكون وسيلةً لعقاب المذنب بأسلوب قاسٍ يجعله يحسُّ بالصَّغار والخجل.

وحديثهم الأثير عن الحلم يؤكّد أنه مما يمكن تعلمه بدليل دعاء الرسول ﷺ بأن يكون الحلم زينًا له، وقول عمر رضي الله عنه: إذا سمعت الكلمة تؤذيك فطأطئ لها

---

[١٥٥] ابن قتيبة: عيون الأخبار ٣/٢٨٧.

[١٥٦] المبرد: الكامل ج٢، ص٧٠.

[١٥٧] المصدر السابق نفسه.

www.mtenback.com

حتى تتخطاك وقول بعض الحكماء: إن أفضل واد ترى به الحلم، فإذا لم تكن حليمًا فتحلم، وإذا لم تكن عليمًا فتعلّم فقلّما تشبه رجل بقوم إلا كان منهم[١٥٨]. ولكل هذا كانوا يدعون لأنفسهم بأن يكونوا حلماء كما قال الشاعر:

فَيا رَبِّ هَبْ لِي مِنْكَ حِلْمًا فَإِنَّنِي أَرَى الحِلْمَ لَمْ يَنْدَمْ عَلَيْهِ حَلِيمُ

وهذا من طريف الدعاء والالتجاء إلى كنف الله، ونسبة المحامد الرفيعة إليه، التي منها الحلم وقد عرفت العرب أن الحلم قد يكون تعلمًا وأسوة بالآخرين فحرصوا على الاقتداء بالحلماء وتقليد طباعهم والأخذ عنهم والانتفاع بتجربتهم.

رأي العرب في الحلم:

تقدّم أن العرب كانوا يفضلون الحلم ويمدحونه، وإنما ينكرونه ويعيبونه إذا كان مطلقًا؛ فهم يدعون إلى حلم في حزم. ولكن فئة منهم كانت ترى الحلم ذُلاً؛ لأن التغاضي عن الجرائم والتعامي عن الذنوب يحط من قدر الإنسان في رأيهم. والذل عندهم ذلان: ذل حلم وذل ضعف، والأول محمود عندهم والآخر مذموم. يقول الشاعر[١٥٩]:

لَنْ يُدْرِكَ المَجْدَ أَقْوامٌ وَإِنْ كَرُمُوا حَتّى يَذِلُوا وَإِنْ عَزُّوا لأَقْوامِ
وَيُشْتَمُوا فَتَرَى الأَلْوانَ كاسِفَةً لا ذُلَّ عَجْزٍ وَلَكِنْ ذُلّ أَحْلامِ
وَإِنْ دَعا الجارُ لَبُّوا عِنْدَ دَعْوَتِهِ فِي النّائِباتِ بِإِسْراجٍ وَإِلْجامِ
مُلَثَّمِينَ لَهُمْ عِنْدَ الوَغى زَجَلٌ كَأَنَّ أَسْيافَهُمْ أُغْرِينَ بِالهامِ

وهذا هو الذل المحمود عند العرب؛ لأن الحلم عن سفاهة الجهلة ممّا يدعو إليه العقل الصحيح، وهم يفعلونه مع مقدرتهم على دفعه، كما قال الشاعر:

---

[١٥٨] ابن عبد ربه: العقد الفريد ج٢، ص٢٨٣.

[١٥٩] ابن أبي الدنيا: الحلم ٥٢.

www.mtenback.com

إِذا قِيلَتِ العَــوْراءُ أَغْضــى كَأَنَّــهُ ذَلِيلٌ بِلا ذُلٍّ وَلَــوْ شَــاءَ لانْتَصَــرْ

وإنما يميلون بذلك إلى إحراز فضيلة التواضع، قال أبو حاتم البســتي: التواضــع تواضعان: أحدهما محمود والآخر مذموم، والتواضع المحمود ترك التطاول على عباد الله والإزراء بهم، وأما التواضع المذموم فتواضع المرء لذي الدنيا رغبة في دنيــاه[١٦٠]. وذل الحلم أشبه بالتواضع مع ما فيه من المرارة التي لا يصبر على تجرع كؤوســها إلا مــن وطن نفسه على ذلك وكانت قناعته بفضيلة الحلم عقيدة في نفسه.

وهؤلاء هم الذين عناهم الشاعر بقوله:

تَخالُهُمُ لِلْحِلْمِ صُمًّا عَــنِ الخَنَــا وَخُرْسًا عَنِ الفَحْشاءِ عِنْدَ التَّهــاجُرِ

لَهُمْ ذُلُّ إنصافٍ وَلِــينُ تواضُــعٍ بِذُلِّهِمُ ذَلَّتْ رِقــابُ المعَــاشِــرِ

وليس من دانت له رقاب عشائر قومه بذليل، ولكنه رجل أعرض عن الجاهلين فكبر في عيون الناس واستحق السيادة.

قيل لعيسى بن طلحة بن عبيد الله وكان حليمًا: ما الحلم؟ قال: الذُّل[١٦١]. ما يسرني بنصيبــي من الذل حمر النعم، فقال له رجل: أنت أعز العرب! فقال: إن الناس يرون الحلم ذلاً، فقلت ما قلت على ما يعملون[١٦٢]. ولكن في أقوال الأحنف ما يــدل على أن الذل المقصود في كلامه هو الحلم وليس الضيم والضعف، فقد قال مرة: إيــاك ورأي الأوغاد. فقيل: ومن الأوغاد يا أبا بحر؟ قال: الذين يرون الصفح والعفو عــن المسيء ضيمًا أو عارًا [١٦٣].

---

[١٦٠] البستي: روضة العقلاء ٢١١.

[١٦١] ابن أبي الدنيا: الحلم ٣٧.

[١٦٢] ابن قتيبة: عيون الأخبار ج٣، ص٢٩١.

[١٦٣] المقري: حسن الثنا، ص١٠.

www.mtenback.com

ويؤكد هذا قول رجل لجعفر بن محمد الصادق: إنه وقع بيني وبين قومي منازعة في أمر وإني أريد تركه، فيقال لي: إن تركك ذل. فقال جعفر: إن الذليل هو الظالم[١٦٤].

وقال عيينة بن حصن: ما يسرني بنصيبي من الذل حمر النعم، قيل: وكيف ذاك؟ قال: «أسمع الكلمة فأكرهها فأحتملها كراهة أن أجيب فتعاد عليّ». وهذا قريب من قول الشاعر:

إِنِّي لأُعْرِضُ عَنْ أَشْيَاءَ أَسْمَعُهَا ... حَتَّى يَقُولَ رِجَالٌ إِنَّ بِي حَمَقَا

أَخْشَى جَوَابَ سَفِيهٍ لاَ حَيَاءَ لَهُ ... فَسْلٍ، وَظَنَّ أُنَاسٍ أَنَّهُ صَدَقَا

وقال الأحنف بن قيس: من لم يصبر على كلمة سمع كلمات، ورب غيظ تجرعته مخافة ما هو أشد منه. وقال شبيب بن شيبة: من سمع كلمة يكرهها فسكت عنها انقطع عنه ما يكره، فإن أجاب عنها سمع أكثر مما يكره[١٦٥]. وكان يتمثل بقول الشاعر[١٦٦]:

وَتَجْزَعُ نَفْسُ المَرْءِ مِنْ وَقْعِ شَتْمَةٍ ... وَيُشْتَمُ أَلْفًا بَعْدَهَا ثُمَّ يَصْبِرُ

ولعل صمته عن الأولى يرد عنه غائلة المعتدي فيسكت حياءً وخجلاً، ولو ردّ عليه لكان أثاره فسمع منه أكثر مما سمع ثم يتوالى ما كان يحاذره شبيب. وهذا توطين للنفس على قليل الذل خوفًا من كثيره.

وليس تحمل الذل تحلمًا ضربًا من الذل؛ لأن علو الهمة يروض النفس على احتمال الهفوات، والمروءة تدفع إلى الترفع عن الصغائر، ومن وطن نفسه على أمر هان عليه. وقد قال بعضهم: المتذلل للحق أقرب إلى العز من المعتز بالباطل.

---

[١٦٤] ابن أبي الدنيا: الحلم، ص٦٠.

[١٦٥] ابن قتيبة: عيون الأخبار، ج٣، ص٢٨٤.

[١٦٦] المصدر السابق، ص٢٨٥.

www.mtenback.com

والحليم يستعبده الإحسان إليه، قال بعضهم: شتمت فلانًا -لرجل من أهل البصرة- فحلم عني فاستعبدوني بها زمانًا[١٦٧]. ويصدق هذا قول الخليل بن أحمد: «كان يقال من أساء فأحسن إليه حصل له حاجز من قلبه يردعه عن مثل إساءته».

وهذا كقول المتنبي:

وَما قَتَلَ الأَحْرَارَ كَالعَفْوِ عَنْهُمُ ... وَمَنْ لَكَ بِالحُرِّ الَّذي يَحْفَظُ اليَدا

إِذَا أَنْتَ أَكْرَمْتَ الكَرِيمَ مَلَكْتَهُ ... وَإِنْ أَنْتَ أَكْرَمْتَ اللَّئِيمَ تَمَرَّدا

وهذا الضرب من الصبر على الأذى هو الحلم بعينه، وهو سبيل السيادة. ولا يقع مثله إلا من كبار النفوس. قال بعضهم: سمعت علي بن الحسين رضي الله عنهما يقول: كان يقال السؤدد الصبر على الذل. وقال عمر رضي الله عنه: السيد هو الجواد حين يسأل، الحليم حين يستجهل البار بمن يعاشره[١٦٨].

وما يسميه النّاس ذلاً هو السؤدد عند أصحاب المروءة؛ قيل لعدي بن حاتم: ما السؤدد؟ قال: السيد الأحمق في ماله، الذليل في عرضه المطرح لحقده. وقيل لقيس بن عاصم: بم سَوَّدَكَ قومك؟ قال: بكف الأذى، وبذل الندى، ونصر المولى[١٦٩].

والإسلام يدعو لهذا القدر من التسامح الذي هو تواضع في بعض صوره، ودرجة عالية من التقوى، وقد جاء في الحديث الشريف: «أيعجز أحدكم أن يكون كأبي ضمضم؟ كان إذا خرج من منزله قال: اللهم إني تصدقت بعرضي على عبادك». فأي درجة من التسامح هذه؟! وقد جاءت الأديان السابقة بمثل هذا، ففي الإنجيل: كونوا حلماء كالحيات بلهاء كالحمام[١٧٠].

---

[١٦٧] ابن أبي الدنيا: الحلم، ص ٣٨، ٤٣.

[١٦٨] الميداني: مجمع الأمثال ج٢، ص٤٥٣.

[١٦٩] ابن عبد ربه: العقد الفريد ج٢، ص٢٨٦.

[١٧٠] ابن قتيبة، عيون الأخبار ٢٨٤/٣.

www.mtenback.com

والذين يرون الحلم ضعفًا لايرونه كذلك على كل حال، ولكنهم أرادوا الاحتراز من الذُّل صيانة لأعراضهم على أنّ للحلم مواضع يصلح فيها، وأخرى لا يصلح لها، يدرك كلاً منهما العاقل بحسن فهمه، يقول الشاعر[١٧١]:

وَفِي اللِّينِ ضَعْفٌ وَالشَّراسَةِ هَيْبَةٌ ... وَمَنْ لا يُهَبْ يُحْمَلْ عَلى المَرْكَبِ الوَعْرِ

وَلَلْفَقْرُ خَيْرٌ مِنْ غِنىً فِي دَنَاءَةٍ ... وَلَلْمَوْتُ خَيْرٌ مِنْ حَيَاةٍ عَلَى صُغْرِ

وَما كُلُّ حِينٍ يَنْفَعُ الحِلْمُ أَهْلَهُ ... وَلا كُلُّ حالٍ يَقْبُحُ الجَهْلُ بِالصَّبْرِ

وَما بِي عَلى مَنْ لانَ لِي مِنْ فَظاظَةٍ ... وَلَكِنَّنِي فَظٌّ أَبِيٌّ عَلَى القَسْرِ

والذين لا يرون الحلم ذُلاً ولا ضعفًا إنما استعملوا العقل، لأن مجاراة السفيه تعود بالضرر على مجاريه، والإعراض عن الجهل والجهلاء فيه وقاية.

وهذان أمران أحلاهما مر، وخير منهما الصبر والإعراض والتحلُّم، لأن الحلم -كما يقولون- عدة على السفيه؛ لأنك لا تقابل سفيهًا بالإعراض عنه والاستخفاف بفعله إلا أذللته. وكفى بالحلم دواءً أنه يقلب الأمر إلى ضده فتحترق كبد السفيه بصمتك عنه فتكون قد وقيت عرضك، أما هو فقد رجعت سفاهته عليه.

وقد ضرب السلف الصالح في ذلك مثلاً وأقاموا الحجة على السفهاء ووضعوا القدوة لمن يتدبر. فقد شتم رجل الحسن وأربى عليه، فقال: أما أنت فما أبقيت شيئًا وما يعلم الله أكثر. ومرّ بقوم ينتقصونه فتصدق عليهم بعرضه كما فعل أبو ضمضم وتمثل ببيت كثير عزة[١٧٢]:

هَنِيئًا مَرِيئًا غَيْرَ داءٍ مخامِرٍ ... لِعَزَّةَ مِنْ أَعْراضِنا ما اسْتَحَلَّت

---

[١٧١] ابن عبد ربه: العقد الفريد ج٢، ص٢٨١.

[١٧٢] ابن قتيبة: عيون الأخبار، ج٣، ص٢٨٣.

www.mtenback.com

وكانوا ربما قابلوا المسيء بالإحسان وذلك أنكى له إن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد، ومن ذلك أن رجلاً شتم الأحنف وألحّ عليه، فلما فرغ قال له: يا ابن أخي، هل لك في الغداء؟ فإنك منذ اليوم تحدو بجمل ثَقَال[١٧٣]. أي: بطيء.

والحلماء يصبرون على الأذى ولكنهم يحذّرون من غضبة الحليم ومن غضبة السلطان؛ قال معاوية لأبي جهم العدوي: أنا أكبر أم أنت يا أبا جهم؟ قال لقد أكلت في عرس أمّك هند. قال عند أي أزواجها؟ قال عند حفص بن المغيرة. قال: يا أبا جهم، إياك والسلطان فإنه يغضب غضب الصبي ويعاقب عقوبة الأسد، وإن قليله يغلب كثير الناس.

وأبو جهم هذا هو القائل في معاوية:

نَميلُ عَلى جَوانِبِهِ كَأَنَّا ... إذا مِلْنا نَميلُ عَلى أَبينا

نُقَلِّبُهُ لِنَخْبُرَ حالَتَيهِ ... فَنَخْبُرُ مِنْهُما كَرَمًا وَلينا

وقد كان معاوية حليمًا من دعاة الحلم، كان يقول: يا بني أمية، قارعوا قريشًا بالحلم، فوالله إن كنت لألقى الرجل فيوسعني شتمًا وأوسعه حلمًا فأرجع وهو لي صديق، استنجده فينجدني وأثيره فيثور معي، وما دفع الحلم عن شريف شرفه ولا زاده إلا كرمًا[١٧٤].

وهذه ثمرة من ثمرات الحلم التي لا تنكر، وهي من الأمور التي تصدقها التجارب؛ فكم من مسيء تصبر عليه فينقلب صديقًا ونصيرًا.

والذين ذموا الحلم ذمًا مطلقًا كانوا يقولون: من عرف بالحلم كثرت الجراءة عليه. وقال السفاح إذا كان الحلم مفسدة فإن العفو مَعْجَزة. وكانوا يقولون أيضًا: آفة الحلم الضعف[١٧٥].

---

[١٧٣] ابن قتيبة: عيون الأخبار، ج٣، ص٢٨٣.

[١٧٤] المصدر السابق، ص٢٨٣.

[١٧٥] الثعالبي: اللطائف، ١١٥.

www.mtenback.com

ولا يعني ذلك رفضهم مبدأ الحلم، وإن أرادوا فلن يقدروا لأن من ثوابت العرب أن الحلم من المروءة وهو من أسباب السيادة. وقد جنوا ثمراته وذاقوا حسن عواقبه، ولكن الحفيظة تدفع بعضهم إلى أن يكون مع الحلم حزم، مع أن مشاهير حلمائهم لا يعبؤونَ بذلك.

ولكن محمد بن وهيب أخذته الغيرة على نفسه ولزم جانب الحمية، على طريقة واحدة بواحدة والبادي أظلم، وذلك في أبياته الشهيرة[١٧٦]:

لئنْ كُنْتُ مُحْتاجـًا إلى الحِلْـمِ إنَّني ... إلَى الجَهْلِ في بَعْضِ الأَحايين أَحْـوَجُ
وَلِي فَرَسٌ لِلْحِلْـمِ بِالحِلْـمِ مُلْجَـمٌ ... وَلِي فَرَسٌ لِلْجَهْـلِ بِالجَهْلِ مُسْـرَجُ
فَمَنْ رَامَ تَقْوِيمِـي فَـإنِّي مُقَـوَّمٌ ... وَمَنْ رامَ تَعْـوِيجِي فَـإنِّي مُعَـوَّجُ
وَما كُنْتُ أَرْضى الجَهْلَ خِدنًا وصاحبًا ... ولَكِنَّنِـي أَرْضَى بِـهِ حِـينَ أُحْـرَجُ
أَلا رُبَّمـا ضـاقَ الفَضـاءُ بِأَهْلِـهِ ... وَأَمْكَـنَ مِنْ بَيْـنِ الأَسِـنَّةِ مَخْـرَجُ
وَإِنْ قالَ بَعْضُ النّاسِ فِيهِ سَمـاجَةٌ ... فَقَدْ صَدَقُوا، وَالذُّلُّ بِـالحُرِّ أَسْـمَجُ

ومجمل القول أن أحوال الرجال تختلف باختلاف المواقف التي يُحتاج فيها إلى الحلم، وما يراه بعضهم حلمًا قد يراه آخرون ذلاً وإنّ الحلم خير عظيم لكن عدم التعقل والدراية في التخلق به قد ينقلب شرًا وأذًى أحيانًا ويبقى الحلم بحدّ ذاته خلقًا إنسانيًا عاليًا. يقول سالم بن وابصة الأسدي[١٧٧]:

أَرى الحِلْمَ فِي بَعْضِ المَواطِـنِ ذِلَّـةً ... وَفِي بَعْضِها عِـزًّا يُشَـرَّفُ فاعِلُـهْ
إِذ أَنْتَ لَمْ تَدْفَعْ بِحِلْمِـكَ جـاهِلاً ... سَفِيهًا وَلَمْ تَقْرِنْ بِهِ مَنْ تُجـاهِلُهْ

---

[١٧٦] ابن قتيبة: عيون الأخبار ج٣، ص٢٨٩.

[١٧٧] ابن أبي الدنيا: الحلم ٦٥.

www.mtenback.com

لَبِسْتَ لَهُ ثَوْبَ المَذَلَّـــةِ صـــاغِرًا وَأَصْبَحْتَ قَدْ أَوْدى بِحَقِّكَ باطِلُـــهْ
تَخَلَّقْ على جُهَّـــالِ قَومِـــكَ إِنَّـــهُ لِكُـــلِّ حَلِيمٍ مَوْطِنٌ هُـــوَ جـــاهِلُه

وزاد عمرو بن كلثوم على واحدة بواحدة فقال في بيت معلقته الذائع:

أَلا لا يَجْهَـلَـنْ أَحَـــدٌ عَلَيْنـا فَنَجْهَلَ فَـوْقَ جَهْـلِ الجاهِلِينـا

وليس كل حلم ذلاً، ولا يعني احتمال الأذى تقرير استمرار الإساءة باستمرار احتمالها؛ فقد يطفح الكيل كما قال قيس بن زهير:

أَظُـنُّ الحِلْمَ دَلَّ عَلَـيَّ قَوْمِـي وَقَدْ يُسْتَجْهَلُ الرَّجُـلُ الحَلِيمُ

وقد يحتاج المرء إلى غير الحلم في بعض المواضع، ومن لا يصلحه الخير أصلحه الشر بلا ريب، كما قال الآخر[١٧٨]:

أَتـانِي مِنْـكَ مـا لَيْـسَ عَلَـى مِكْـرُوهِهِ صَـبْرُ
فَـأَغْضَيْتُ عَلَـى عَمْـدٍ وَقَـدْ يُغضِي الفَتَـى الحُـرُّ
وَأَدَّبْتُـكَ بِالهَجْـرِ فَمـا أَدَّبَـكَ الهَجْـرُ
وَلا رَدَّكَ عَمّـا كـا نَ مِنْـكَ الصَّفْـحُ وَالزَّجْـرُ
فَلَمّـا اضْطَرَّنـي المَكْـرُو هُ وَاشْـتَدَّ بِـيَ الأَمْـرُ
تَنـاوَلْتُكَ مِـنْ سِـرّي بِمـا لَيْـسَ لَـهُ قَـدْرُ
فَحَرَّكْـتُ جَنَـاحَ الـذلّ لَمّـا مَسَّـكَ الضُـرُّ
إِذا لَـمْ يُصْـلِحِ الخَيْـ رُ أَمْـرًا أَصْلَـحَ الشَّـرُّ

[١٧٨] الثعالبي: اللطائف ١١٦.

www.mtenback.com

الحلم في رأي بعض المستشرقين:

لا ينكر منصف جهود المستشرقين، والمتجردين منهم خصوصًا، في الدراسات الإسلامية والعربية. وكان لكثيرين منهم وقفات في الفضائل والأخلاق، نال الحلم نصيبًا موفورًا منها. وقد تناول المستشرق شارل بيلا بعض آرائهم في رسالته في الحلم. وقال عن الحلم: «إنه مفهوم مركب لا يحلل بسهولة، وإن اسمه جامع يطلق مبدئيًا على عناصر متنوعة قد توجد في جميع الأمم متفرقة متقسمة، بيد أنها تظهر متجمعة متألفة عند العرب، بل عند نخبة منهم...»[١٧٩].

أما المستشرق المجري جولدزيهر فملخص ما ذهب إليه أنه يخطِّئ من اعتقد أن الجاهلية هي عصر الجهل الذي هو ضد المعرفة وهي عنده مشتقة من الجهل نقيض الحلم وأول دليل عنده هو قول عمرو بن كلثوم السابق ذكره:

أَلا لا يَجْهَلَنْ أَحَدٌ عَلَيْنا فَنَجْهَل فَوْقَ جَهْلِ الجاهِلِينا

ويرى الجهل هنا لا يمت إلى عدم المعرفة بصلة بل هو قريب من الشدة والعنف والفتك. والحلم في نظر جولدزيهر هو الاتزان الجسدي والنفسي والمتانة الخَلْقية والخُلُقية والاستقامة والرحمة والسماحة في المعاملات اليومية، فإن الحليم هو الذي يتفكّر ويعمل عن روية، فهو المتأدب خلاف الجاهل الذي لا يعقل ولا يضبط نفسه ولا يميت أهواءه ولا يكبت غرائزه البدنية. والحلم عنده أيضًا فضيلة نادرة الوجود في عصر الجاهلية، يفتخر بها الرؤساء والسادة دون السوقة والعامة فلما جاء الإسلام أراد النبي أن يخلصه ويصيره فضيلة إسلامية تعم جميع المسلمين حتى يتميزوا بها عن الجاهليين في الميدان الأخلاقي والاجتماعي. ويرى أيضًا أن الحلم قد يحدث الذل أحيانًا دون العز، فيحتاج حينئذ الإنسان إلى المروءة ليميز الأحوال التي تقتضي استعمال

---

[١٧٩] شارل بيلا: رسالة في الحلم ٩-١٠.

www.mtenback.com

الجهل أي القسوة والعنف مكان السماحة والأناة. ويدعم هذا الرأي ما ورد من ذم الحلم المطلق في بعض الأمثال والأشعار مما قد يصد العرب عن اتخاذ موقف من الرفق والصبر والاحتمال والعفو[١٨٠].

وذهب جودفري ديمنبين إلى أن النبي أوتي فضيلة كان العرب ينوهون بها لأنها نادرة استثنائية ألا وهي رباطة الجأش وضبط النفس أي الحلم الذي كان ينسجم بفضله في نفس محمد ديانة النبي المرسل ونشاط القائد السائس[١٨١]. يريد أن الرسول ﷺ كان يحب الحلم بوصفه فضيلة محمودة وأنه مما دعا إليه الدين الذي جاء به.

وتأثر المستشرق[١٨٢] الياباني توشيهيكو إذتسو بآراء جولدزيهر واتفق معه على مفهوم الجاهلية وأنها عصر الجهل نقيض الحلم إلى أن يقول: إن الرسول وأصحابه كانوا لا يرون الجاهلية كالفترة المتقدمة للإسلام فحسب بل يرونها شيئًا ذا طبيعة ديناميكية وحالة ذهنية قد رفضها الإسلام وردها. ولكنها لم تزل حية في نفوس بعض المسلمين وأصبحت خطرًا شديدًا على الإسلام ويستشهد على ذلك بخبر رواه ابن هشام وهو قوله: مرَّ شأس بن قيس، وكان شيخًا. قد عَسَا[١٨٣] عظيم الكفر شديد الضغن على المسلمين شديد الحسد لهم، على نفر من أصحاب رسول الله ﷺ من الأوس والخزرج في مجلس قد جمعهم يتحدثون فيه، فغاظه ما رأى من ألفتهم وجماعتهم وصلاح ذات بينهم على الإسلام بعد الذي كان بينهم من العداوة في الجاهلية، فقال: «قد اجتمع ملأ بني قيلة بهذه البلاد، لا والله ما لنا معهم إذا اجتمع ملؤهم بها من قرار»، فأمر فتىً شابًا من يهود كان معهم فقال: «اعمد إليهم فاجلس معهم ثم اذكر

---

[١٨٠] شارل بيلا: رسالة في الحلم ١٥١-١٥٣.

[١٨١] بيلا: الحلم ١٥٤.

[١٨٢] ابن هشام، أبو محمد عبد الملك: السيرة النبوية، مطبعة بولاق القاهرة، (١٢٩٥م)، ١/٥٥٥.

[١٨٣] عسا: أَسَنَّ وكَبِرَ.

www.mtenback.com

يوم بُعاث وما كان قبله وأنشدهم بعض ما كانوا تقاولوا فيه من الأشعار..»، ففعل، فتكلم القوم عند ذلك وتنازعوا وتفاخروا حتى تواثب رجُلان من الحيّين على الركب.. فتقاولا، ثم قال أحدهما لصاحبه: «إن شئتم رددناها الآن جذعة»، فغضب الفريقان جميعًا وقالوا: «قد فعلنا، موعدكم الظاهرة، السلاح! السلاح!»، فخرجوا إليها فبلغ ذلك رسول الله فخرج إليهم فيمن معه من أصحابه المهاجرين حتى جاءهم فقال: «يا معشر المسلمين الله الله! أبدَعوى الجاهلية وأنا بين أظهركم بعد أن هداكم الله للإسلام وأكرمكم به وقطع به عنكم أمر الجاهلية واستنقذكم به من الكفر وألّف به بين قلوبكم»[184]. فعرف القوم أنها نزغة من الشيطان وكيد عدوهم، فبكوا وعانق بعضهم بعضًا، ثم انصرفوا مع رسول الله سامعين مطيعين قد أطفأ الله عنهم كيد عدوهم.

ويرى بعد روايته هذا الخبر أن مراد الرسول ﷺ كان التأليف بين القلوب وأنّ هذه الغاية لا تبلغ إلا بالسماحة والحلم. وأن الرسول ﷺ كان يقضي على مثل هذه المواقف بإحلال روح الحلم والعفو وكظم الغيظ محل المفاهيم الجاهلية الوحشية. ويصل بعد ذلك إلى ملاحظة مهمة، وهي أن الله هو المجازي الذي يأخذ بالطوائل فليس للإنسان أن ينتقم بل يجب عليه أن يتكل على عدل الباري فلذلك صار الصبر والعفو من المزايا المستحسنة فكان من اللازم إذن أن يحل الأدب مكان الجهل حتى يصبح المسلم مؤدبًا قادرًا على قمع غرائزه الأولية وضبط أهوائه الطبيعية، وهذه هي ماهية الحلم الذي جعله النبيّ في مقدمة اهتماماته واتخذه نقطة مركزية في جهاز الأخلاق الإسلامية على ما يستنتج من سورة الفرقان التي تجمع واجبات المسلم وما عليه أن يراعيه من المبادئ الأخلاقية.

ونكتفي بما أدلى به هؤلاء المستشرقون الأربعة، فهو على قلته واختصارنا له فيه إشارة إلى عمق التفكير رغم أنهم لم يأتوا بجديد في بعض ما ذهبوا إليه، لأن تعريف

---

[184] أخرجه البخاري، باب الخصومات، ٦.

www.mtenback.com

الجاهلية مما تناوله المسلمون والعرب كثيراً فجاؤوا فيه بما وصل إليه هؤلاء بأخرة، بل زادوا، ولمسوا بعض جوانب الحلم لمساً طفيفاً. وهم يعلمون أن الإسلام لم يجبّ كل ما كان من تراث الجاهلية وإنما أبقى على ما كان معروفاً من مكارم الأخلاق وأتمها، والحلم أحد هذه المكارم، وقد نظّمه الإسلام وزاد في بعض مقوماته فأضاف التقوى وهي من دعائم الحلم وهي التي تمنع من شفاء الغيظ وإرواء الغليل طمعاً في ما عند الله. كما أضاف الاحتساب وهو ترك المجازاة إما اعتماداً على عدل الله والوثوق من اقتصاصه من المعتدي، أو ترك مكافأة الظالم والعفو عنه احتساباً للأجر والثواب.

الآثار الاجتماعية للحلم:

الحلم من أشرف الأخلاق وأحقها بذوي العقول الناضجة فهو سبيل كل غاية حميدة ونهاية سعيدة، يقتلع الشر من جذوره ويطفئ النيران قبل اشتعالها ويقضي على الفتنة في مهدها. وهو فضيلة فردية واجتماعية في وقت واحد، يقول أبو حيان التوحيدي: «ليس في الدنيا خصلة يحسن الإنسان فيها إلى نفسه ويحمد عليها إلا الحلم وما يدخل معه كالصبر والكظم والتغافل والإغضاء، وأما الخصال البواقي فإن الإنسان يحمد فيها إذا أحسن إلى غيره أو شركه في ذلك الإحسان غيره»[١٨٥].

والحلم حجاب لكثير من الآفات الاجتماعية، لذلك كانوا يقولون: «حلم ساعة يرد سبعين آفة»[١٨٦].

وقد تدرج الإسلام بالحلم من خصلة خاصة بالسادة، كما عرف في الجاهلية، إلى فضيلة عامة بوسع كل إنسان أن يروض نفسه عليها ويستعملها في حياته ومعاملاته فأصبحت مطلباً أخلاقياً وخلقاً عربياً لا يخص فئة خاصة من الناس وإن كانت الحاجة داعية إلى تحلي الملوك وذوي السلطان به فإنه أساس الملك.

---

[١٨٥] التوحيدي، المقابسات ٤٣٠.

[١٨٦] الثعالبي: التمثيل والمحاضرة ٤١٣.

www.mtenback.com

وبالحلم يتصدى المرء لكثير من العيوب والآفات الاجتماعية كالفحش والسب وبذاءة اللسان، فإن الحليم يترفع عن مجاراة السفهاء ويلوذ بالصمت وهو أحد مقومات الحلم، وربما صمت الحليم فيرتدع المعتدي عليه، وربما نصره أعوانه الذين استفادهم بحلمه فيكون قد صدّ عن نفسه بالحلم وانتصر لها بالحلم أيضًا. فالحليم يزداد بالحلم قوة، وقد تقدم قول علي رضي الله عنه: «أول عوض الحليم أن الناس كلهم أعوانه على الجاهل».

ومن فوائد الحلم ترك الغضب، فالحلم والغضب لا يلتقيان وقد مرّ بنا قولهم «الغضب غول الحلم» والغضب من الأمراض الأخلاقية الموجودة في كل أمة وهو ذو عواقب سيئة؛ فخراب البيوت بالطلاق وتشريد الأولاد وتفكك الأسر وازدياد جرائم القتل كل ذلك نتائج حتمية للغضب. بل قد يتأذى الغاضب نفسه، فكم من غضوب كانت نهايته الشلل أو المصحات العصبية والنفسية، وتعطُّل فرد من المجتمع يؤثر على رسالة المجتمع وأدائه.

والغضب من طبع البشر، لكن قمعه حين يثور هو ما نسميه الحلم. والغضب غضبان: الأول غضب لله لانتهاك محارمه، وهذا غضب مشروع لأنه واجب ديني، أو الغضب لرد مظلمة وهذا من المروءة والحزم. أما النوع الآخر فغضب الإنسان لنفسه إذا فاتته منفعة مادية أو مصلحة دنيوية، وهذا هو الغضب الذي يقتضي الحلم.

والحليم هو العاقل الذي يعرف متى يغضب ولِمَ يغضب، فهو مالك لزمام نفسه، وإذا ملك الإنسان نفسه فقد كفّ عنها الشر وكفّ شرها عن الآخرين. وكان يقال: من ملك غضبه احترز من عدوه.

ومن آفات المجتمع الحسد والتباغض والضغائن، ولا علاج لهذه الآفات إلا بالحلم، لأن الحلم يسلُّ الضغائن، ولأن الحليم لا يظلم، وإذا انتفى الظلم انتفى الحقد

www.mtenback.com

والحسد. قال ابن عبدربه: قدم العلاء بن الحضرمي على النبي ﷺ فقال هل تروي من الشعر شيئًا؟ قال: نعم، قال فأنشدني، فأنشده:

تَجَنَّبْ ذَوِي الأَضْغانِ تَسْبِ نُفُوسَهُم ... تَحَبَّبْكَ القُرْبَى فَقَدْ تُرْقَعُ النَّعَلْ

وَإِن دَحَسُوا بِالكُرْهِ فاعْفُ تَكَرُّمًا ... وَإِنْ غَيَّبُوا عَنْك الحَدِيثَ فَلا تَسَلْ

كَأَنَّ الَّذِي يُؤْذِيكَ مِنْهُمْ سَمَاعُهُ ... وَأَنَّ الذي قالُوا وَراءك لَمْ يُقَلْ

فقال عليه الصلاة السلام: «إن من الشعر لحكمة»[١٨٧].

ولا يتجنب الأضغان وما يثيرها إلا الحليم، وإذا وقع التضاغن فإنه بما أوتي من صبر وعفو وتسامح قادر على أن يسبي نفوس ذوي الضغائن.

وبالحلم يصون المرء عرضه، وفساد العرض آفة أخرى قديمة، عرفها الجاهليون وعالجوها بالمعروف الذي هو سبب من أسباب الحلم، يقول زهير:

وَمَنْ يَجْعَلِ المَعْرُوفَ مِنْ دُونِ عِرْضِهِ ... يَفِرْهُ، وَمَنْ لا يَتَّقِ الشَّتْمَ يُشْتَمِ

وهذه من شروط الحلم.

قال محمد بن علي رضي الله عنهما: «من حلم وقى عرضه، ومن جادت كفه حسن ثناؤه، ومن أصلح ماله استغنى، ومن احتمل المكروه كثرت محاسنه، ومن صبر حُمِدَ أمره، ومن كظم غيظه فشا إحسانه ومن عفا عن الذنوب كثرت أياديه، ومن اتقى الله كفاه ما أهمّه»[١٨٨]. وهذه كلها من خصال الخير التي بها يسود الوئام والمحبة في المجتمع.

والحلم أيضًا رادع عن كثير من خصال السوء المؤدية إلى فساد المجتمع، لأن صلاح المجتمعات بصلاح أفراده. قال عمر رحمه الله: من كثر ضحكه قلت هيبته، ومن مزح استخف به، ومن أكثر من شيء عرف به، ومن كثر كلامه كثر سقطه، ومن

---

[١٨٧] أخرجه أبو داود في السنن، كتاب الأدب، باب ٨٧، حديث: ٥٠٠٩.

[١٨٨] ابن عبد ربه: العقد الفريد ج٢، ص٢٨٤.

www.mtenback.com

كثر سقطه قل حياؤه، ومن قل حياؤه قل ورعه، ومن قل ورعه قل خيره، ومن كثر أكله لم يجد لذكر الله لذة، ومن كثر نومه لم يجد في عمره بركة، ومن كثر كلامه في الناس سقط حقه عند الله، وخرج من الدنيا على غير الاستقامة[١٨٩].

بل لَقد جعلت العرب الحلم بإزاء الشيب والتقوى في الكف عن التصابي وأمور الجهالة. وعدوه رادعًا للمرء عن عمل السوء وقول الباطل وحمدوا للحلماء صبرهم وقوة عزيمتهم ولا تكون العزيمة إلا في الأخيار من الناس وفي الكرام منهم وكأن هناك صلة متينة بين اكتمال ونمو الإنسان وتقدمه في العمر وبين التريث والحلم.

ويضربون المثل بالحليم في الرزانة وأنّه لا تثيره الأمور التي تثير سائر الناس كالشّوق إلى الأحبة والحنين إلى الديار ومن بها، يقول كثير عزة في وصف المغاني التي تثير البثّ حتى في الحليم على سبيل المبالغة[١٩٠]:

مَغانٍ يُهَيِّجْنَ الحَلِيمَ إِلَى الصِّبَا وَهُنَّ قَدِيماتُ العُهُودِ دَوَاثِرُ

ومن ثمرات الحلم السيادة، أوصى بعضهم ابنه فقال: يا بُنيّ إني موصيك بخصال إن تمسكت بهن لم تزل سيدًا: «ابسط حلمك للقريب والبعيد، وأمسك جهلك عن الكريم واللئيم، وصل أقرباءك، وليكن إخوانك الذين إذا فارقوك وفارقتهم لم تُعَبْ بهم»[١٩١]. وقوام المجتمعات وصلاحها بصلاح قادتها وسادتها. فإن كانوا من السادة والسراة ساروا بها إلى الخير، وفي الحديث: «إذا أراد الله بقوم خيرًا جعل أمرهم إلى حلمائهم وفيئهم عند سمحائهم، وإذا أراد الله بقوم سوءًا جعل أمرهم إلى سفهائهم وفيئهم عند بخلائهم»[١٩٢]. وقال الشاعر:

---

[١٨٩] ابن أبي الدنيا: الحلم: ٣٧.

[١٩٠] ديوانه، ص ٣٦٨.

[١٩١] ابن أبي الدنيا: الحلم ٤٧.

[١٩٢] أورده السيوطي في جمع الجوامع، وعزاه إلى الديلمي، ٣٧/١.

www.mtenback.com

لا يَصْلُحُ القَوْمُ فَوْضى لا سَرَاةَ لَهُـــمْ وَلا سَـــــراةَ إِذا جُهَّـــالُهُم ســـادُوا

وسيادة الجهال مصيبة، ومن هنا كانت العرب لا تسود إلا الحليم السخي، قال ابن الكلبي: ما كان أهل الجاهلية يشرفون بيسار ولا شجاعة، ولكن حلم وســـخاء. وقال محمد بن كنانة: إن أهل الجاهلية لم يكونوا يسودون رجلاً حتى يكون حليمًا وإن كان شجاعًا سخيًا[١٩٣]. وممّا يوضح فائدة سيادة الحلماء وأنهم يبرون قومهم ويحملون همومهم ويقدمونهم على أنفسهم ما روي عن الأحنف بن قيس وقد دخل على عمـــر في وفد من أهل البصرة وعمر لا يعرفه، فلما دخلوا تكلم كل رجل منهم في خاصـــة نفسه، وكان الأحنف آخر القوم، فقام وحمد الله وأثنى عليه وصلى على النبي ﷺ ثم قال: يا أمير المؤمنين إن أهل الشام نزلوا منازل قيصر، وإن أهل مصر نزلـــوا منـــازل فرعون وأصحابه، وإن أهل الكوفة نزلوا منازل كسرى ومصانعه في الأنهار العذبـــة، والجنان الحسنة، وفي مثل عين البعير، وأتتهم ثمارهم قبل أن يحصدوا، وإن أهل البصـــرة نزلوا في سبخة نشاشة، لا يجف ثراها، ولا ينبت مرعاها، طرفهـــا في بحـــر أجـــاج، وطرفها بالفلاة، لا يأتينا شيء إلا في مثل مدى النعامة، فارفع خسيســـتنا ولا تُفْـــشِ وقيصتنا، وزد في رجالنا رجالاً، وفي عيالنا عيالاً، وأصفر درهمنا، وأكبر فقيرنا، ومـــر بنهر يكرى لنا نستعذب منه. فقال عمر للقوم: أعجزتم أن تكونوا مثل هذا؟ هـــذا والله السيد، قال الأحنف: فما زلت بعد أسمعها من الناس: هذا والله السيد[١٩٤].

وإذا كان إمام القوم وسيدهم بهذه الصفة تضامنوا وتكافلوا؛ فكانوا سلمًا فيما بينهم وحربًا على عدوهم وبذلك تكون سعادة المجتمع.

---

[١٩٣] ابن قتيبة: عيون الأخبار ج٣، ص١٢٢.

[١٩٤] ابن أبي الدنيا: الحلم ٤٩.

www.mtenback.com

وإذا خرجنا بالحلم من نطاق الأفراد إلى الجماعات وجدناه يسهم إسهامًا كبيرًا في إقامة السلام العالمي، بل إن الحلم أساس ذلك، لأن نزاعات الحدود والخلافات السياسية إذا تعامل الناس فيها بالحلم كانت نهاية ذلك السلام والوئام العالميين.

والحلم شرف لصاحبه، قال بعضهم أتيت بخاتم بجير بن ريسان الحميري فإذا عليه مكتوب بالمسند (الخط): من حلم شرف[١٩٥]. والحلم يكسب صاحبه محبة الله وشرف الآخرة ومحبة الناس وشرف الدنيا.

والحلم من أسس السياسة والملك، فبه يكثر الأنصار، ويقل الخصوم، وكان الأحنف يقول: وجدت الحلم أنصر لي من الرجال. وبالحلم يكثر الإخوان والأصدقاء لأن الحليم صبور، و الحليم يكتسب بالصبر فضلاً زائدًا، والمرء إذا كان ملولاً ضجرًا لم يبق له صديق. وإنما تساس أمور الناس بالمداراة وهي من عناصر الحلم ومقوماته. والمداراة مؤلفة من الحلم والصبر. والحلم لا يعني تقريب العدو ولكن مسالمته مع التحفظ من شره.

وبالحلم يثبت الملك وتقوى الدول وتتقدم، قال سعيد بن المسيب لجماعة وقد ذكروا بني أمية: لا يكون هلاكهم إلا منهم! قالوا: كيف؟ قال: يهلك حلماؤهم ويبقى سفهاؤهم فيتنافسونها ثم تكثر الناس عليهم فيهلكوهم[١٩٦]. ولعل هذا ما حدث لدولة بني أمية حين هلك حلماؤها من أمثال معاوية وعبدالملك وعمر بن عبد العزيز وكثر الجهال والسفهاء ودبت الفتن الدينية والسياسية فكانت النهاية سقوط تلك الدولة.

وكفى بالحلم فضلاً أنه يلمُّ الشمل ويرأب الصدع ويكفل الاتفاق والاجتماع، ألم تسمع قول الشاعر:

---

[١٩٥] الثعالبي: اللطائف ١٢١.

[١٩٦] ابن أبي الدنيا، ص ٥٦.

www.mtenback.com

كـــانُوا بَنِـــي أُمٍّ فَفَـــرَّقَ بَيْنَهُـــمْ عَـــدَمُ العُقُـــولِ وَخِفَّـــةُ الأَحْـــلامِ

فالحلم ضرورة اجتماعية وهو البلسم الشافي لإصلاح ذات البين، فتصرف الأمة قوتها لأعدائها، وبهذا تساس الدول، لأن الأمة إذا كانت آمنة متصالحة تفرغت للبنـــاء وتصدت لما يأتيها من خارج حدودها، ونظر أهل الرأي والعلم منهم بـــأمور النـــاس فأحسنوا النظر إليها وحفظوها من الضياع والخلل الذي يهدم أساس الدول ويفـــرق الناس ويخل بالبناء الاجتماعي. ولا تقوم أمة بأمر رشاد وصلاح لها إلا إذا سادت فيهـــا خصال الحلم وكثر الحلماء وصار الأمر إليهم والرأي فيهم.

موقع الدكتور مرزوق بن تنباك
www.mtenback.com

www.mtenback.com

موقع الدكتور مرزوق بن تنباك
www.mtenback.com

www.mtenback.com

الفهارس

موقع الدكتور مزروق بن تنباك
www.mtenback.com

www.mtenback.com

موقع الدكتور مرزوق بن تنباك
www.mtenback.com

www.mtenback.com

فهرس الآيات القرآنية

السورة	الآيـــة	رقمها	الصفحة
آل عمران	﴿وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ... الآية﴾	١٣٤	٤٦
التوبة	﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ... الآية﴾	١١٤	٩
هود	﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُنِيبٌ... الآية﴾	٧٥	٩، ١٣
	﴿إِنَّكَ لَأَنْتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ... الآية﴾	٨٧	٧، ٩
النحل	﴿سَنَنْظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ... الآية﴾	٢٧	٤٩
الفرقان	﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا... الآية﴾	٦٣	٣٢
الصافات	﴿فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ... الآية﴾	١٠١	٩
الحجرات	﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ... الآية﴾	٦	٤٩
الطور	﴿أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَحْلَامُهُمْ بِهَذَا أَمْ هُمْ قَوْمٌ... الآية﴾	٣٢	٩

موقع الدكتور مرتضى تنبكجي
www.mtenback.com

www.mtenback.com

موقع الدكتور مرزوق بن تنباك
www.mtenback.com

www.mtenback.com

فهرس الأحاديث

الحديث	الصفحة
«ابتغوا الرفعة عند الله ...»	١٠
«اطلبوا العلم ...»	١١
«إذا جمع الله الخلائق ...»	١٢
«أربع يشرف بهن الإنسان ...»	١٠
«أشدكم من غلب نفسه ...»	١١
«إن فيك يا أشجّ خلقين ...»	٤٩
«إن الرجل ليدرك بالحلم ...»	١١
«ثلاث من لم تكن فيه واحدة ...»	١١
«خمس من سنن المرسلين ...»	١٠
«زين العلم حلم أهله»	١١
«العاقل يحلم عمن ظلمه ...»	٤٢
«العلم خليل المؤمن ...»	١١
«اللهم زيني بالحلم ...»	٢٣
«اللهم أغنني بالعلم ، وزيّني بالحلم ، ...»	٥٣
«اللهم لا يدركني ولا أدركه زمان ...»	١٠
«ليَلِيَنِّي منكم أولو الأحلام والنهى»	٧
«ما أوى شيء إلى شيء أزين ...»	١١

www.mtenback.com

موقع الدكتور مرزوق بن تنباك
www.mtenback.com

www.mtenback.com

فهرس الأشعار

أول البيت	القافية	اسم الشاعر	العدد	الصفحة
		ـــ ء ـــ		
فعدّ	أكفائي	–	١	٥٩
		ـــ ب ـــ		
ليست	الغضبْ	–	١	٢٠
أرى	الكربْ	–	٢	٣٨
أحب	أعابا	الحسن بن رجاء	٢	٢٠
حليمٌ	أجلبا	البحتري	١	٢٢
حليم	مهيبُ	كعب بن سعد الغنوي	٢	٢٣
أخي	هيوبُ	كعب الغنوي	٤	٣٤
فتًى	صليبُ	كثير بن عبدالرحمن	١	٢٩
لقد وارى	عابِ	–	٢	٢٩
أساؤوا	مغضبِ	كثير بن عبدالرحمن	١	٣٩
الحلم	الصعبِ	–	١	٣٣
وإن ذكر	بغائبِ	سراقة البارقي	١	٢٢
		ـــ ت ـــ		
حليم	جرّتِ	كثير بن عبدالرحمن	١	٥٠
هنيئاً	استحلتِ	كثير بن عبدالرحمن	١	٦٤
فتى كان	حُلّتِ	الخنساء	١	٢٢
ما دمت	المداراة	أبو سليمان الخطابي	١	٥٢

www.mtenback.com

أول البيت	القافية	اسم الشاعر	العدد	الصفحة
		— ج —		
لئن كنت	أحوجُ	محمد بن وهيب	٦	٦٦
		— ح —		
الرفقُ	نجاحا	النابغة	١	٥٠
		— د —		
وما قتل	اليدا	المتنبي	٢	٦٣
لا يصلح	سادوا	–	١	٧٥
رقيق	بُردُ	أبو تمام	١	٢٣
		— ر —		
إذا قيلت	لانتصرْ	–	١	٦١
ولاخير	يكدّرا	النابغة الجعدي	٣	٢٦
أتاني	صبرُ	–	٨	٦٧
مغان	دواثرُ	–	١	٧٤
وتجزع	يصبرُ	–	١	٦٢
تأسفت	مغتفرِ	دعبل الخزاعي	٢	٤٠
تجنبْ	فدارِه	صالح بن عبد القدوس	٣	٥٢
تخالهم	التهاجرِ	–	٢	٩١
وفي اللين	الوعرِ	–	٤	٦٤
فإني وإياهم	لا تسري	–	٦	٣٥
		— س —		
هل من	تضريسي	جرير	١	٧

www.mtenback.com

أول البيت	القافية	اسم الشاعر	العدد	الصفحة
		ـــ ش ـــ		
لا تأمنن	فحّاشا	أبو جعفر القرشي	٢	٢٩
		ـــ ع ـــ		
سريتُ	المراجعُ	يزيد بن الحكم الثقفي	٢	٣٩
		ـــ ق ـــ		
وإني لأعرض	حمقا	–	٢	٦٢
وفي الحلم	أخرقا	–	١	٢٥
ما كان	بالرفقِ	أشجع بن عمرو السلمي	١	٥٠
		ـــ ل ـــ		
تجنب	النعلْ	–	٣	٧٣
إذا أنت	جاهلُ	كعب بن زهير	١	١٩
أرى	فاعلُهْ	سالم بن وابصة الأسدي	٤	٦٦
وذي خطل	قائلُهْ	زهير بن أبي سلمى	٢	٣٣
جميل	الزلازلُ	كثير بن عبدالرحمن	١	٢٢
عدلتُ	شغلُ	خلف بن خليفة	٣	٢٢
وإني لأرعى	قتيلِ	يزيد بن الحكم الثقفي	٦	٣٥
والله	الجهلِ	–	٥	٣٤
لا يطمعون	الجاهلِ	عمرو بن الإطنابة	٢	٢٤
		ـــ م ـــ		
تحلّمْ	تحلّما	–	١	٧
نذي الحلم	ليعلما	المتلمس	٣	٣٦
رجعت	لجاما	محمود الوراق	٤	٣٢

www.mtenback.com

أول البيت	القافية	اسم الشاعر	العدد	الصفحة
فلا يغررك	حليما	–	١	٤٨
إني أرى	أقواما	–	١	٢٤
ألا إنّ	كريمُ	–	٢	٢٥
لعمرك	تحلُّمُ	–	٢	٣٠
أظن	الحليمُ	قيس بن زهير	١	٦٧
عزفت	حليمُ	المرار الفقعسي	١	٣٩
فيا ربّ	حليم	–	١	٦٠
وذي رحمٍ	حلِمُ	–	٢٢	٣٧
حلفت	أسلمُ	مسلم بن الوليد	٤	٢٨
فما من	الردمِ	عبدالله بن الزبعرى	٢	٢١
إذا أنت	حلمِ	عبدالملك بن مروان	٦	٢٧
إني وهبت	علمِ	محمود الوراق	٢	٢٥
إني ليمنعني	وصمِ	–	٢	٣٣
مجالسة	الحليمِ	سراقة البارقي	٢	٣١
وليس	يتحلمِ	الثقفي	١	٣٨
نهينك	الذميم	البحتري	٤	٤٩
ألا يسليك	الحلمِ	–	١	٣٩
فما خرق	الحليمِ	البحتري	٢	٤٩
كانوا	الأحلامِ	–	١	٧٧
وليس	يتحلمِ	الثقفي	٢	٣٨
ومن يجعل	يشتمِ	زهير بن أبي سلمى	١	٧٣
لن يدرك	لأقوامِ	–	٤	٦٠
وفي الحلم	المتيّمِ	كثير بن عبدالرحمن	٢	٣٩

www.mtenback.com

أول البيت	القافية	اسم الشاعر	العدد	الصفحة
		ـــ ن ـــ		
ألا لا يجهلن	الجاهلينا	عمرو بن كلثوم	١	٦٧
ألم تر	شائن	–	٢	٢٤
وبعض	إذعانُ	الفند الزّمّاني	٢	٢٨
العلم	قرنِ	سابق البربري	١	٥٣
نميل	أبينا	أبو جهم	٢	٦٥
		ـــ هـ ـــ		
والصمت	يكرهُ	–	١	٣٠
ولربما	يتأوّهُ	–	٢	٤٨
واني لأترك	أكرهُ	أصرم بن قيس	٣	٢٠
		ـــ ي ـــ		
تحرز	فيه	–	٤	٣١

موقع الدكتور مرزوق بن تنباك
www.mtenback.com

www.mtenback.com

موقع الدكتور مرزوق بن تنباك
www.mtenback.com

www.mtenback.com

فهرس الأمثال

المثـــل	الصفحة
«احلم تسد»	١٦
«أحلم من الأحنف»	١٨
«إنه لواقع الطير»	١٧
«إذا ملكت فأسجح»	٦
«إذا نزل الشر فاقعد»	١٦
«إذا تلاحت الخصوم تسافهت الحلوم»	١٨
«الرفق بُنَيّ الحلم»	١٧
«العقل الحلم وجماع الأمر الصبر»	١٦
«من حلم ساد ومن تفهم ازداد»	١٦

موقع الدكتور مرزوق بن تنباك
www.mtenback.com

www.mtenback.com

موقع الدكتور مرزوق بن تنباك
www.mtenback.com

www.mtenback.com

المصادر والمراجع

الأبشيهي، بهاء الدين محمد:

المستظرف في كل فن مستطرف، القاهرة، بولاق، ١٢٩٢هـ.

الأصفهاني، أبو الفرج:

الأغاني، بيروت، دا ر الفكر، د.ت.

الأصفهاني، عماد الدين:

الفتح القسّي في الفتح القدسي، ليدن، ١٨٨٨م.

الأندلسي، ابن عبد ربه:

العقد الفريد، بيروت، دار الكتاب العربي ١٩٨٣.

ابن أبي الحديد:

شرح نهج البلاغة، القاهرة، عيسى البابي الحلبي ١٩٦٥.

ابن أبي الدنيا:

الحافظ، كتاب الحلم، القاهرة، مكتبة القرآن ١٩٨٦.

البحتري:

ديوان البحتري، بيروت، دار بيروت، ١٩٨٧.

البخاري، أبو عبدالله محمد بن إسماعيل:

صحيح البخاري، اسطنبول، المكتبة الإسلامية د.ت.

البستي، أبو حاتم:

روضة العقلاء، الرياض، دار الشريف للنشر ١٤١٣هـ.

البغدادي، عبدالقادر بن عمر:

خزانة الأدب، دبي، مطابع البيان التجارية ١٩٨٧.

www.mtenback.com

بيلا، شارل:

رسالة في الحلم، بيروت، دار الكتاب الجديد ١٩٧٣.

أبو تمام:

ديوان أبي تمام، بيروت، شركة الكتاب اللبناني ١٩٦٨.

التوحيدي، أبو حيان:

المقابسات، تحقيق: محمد توفيق حسين، بغداد ١٩٧٠.

الثعالبي، أبو منصور عبدالملك بن محمد:

التمثيل والمحاضرة، تحقيق: عبدالفتاح الحلو، الدار العربية للكتاب، د.ت.

الثعالبي، أبو منصور عبد الملك بن محمد:

اللطائف والظرائف، بيروت، دار المناهل ١٩٩٣.

الجاحظ:

- البيان والتبيين، سوسة، دار المعارف ١٩٩٠.
- المحاسن والأضداد، بيروت، دار الهادي، ١٩٩١.
- رسائل الجاحظ، تحقي: السندوبي، القاهرة ١٩٣٣.
- رسائل الجاحظ، تحقيق: عبدالسلام هارون، القاهرة ١٩٦٥.
- الحيوان، بيروت، دار الجيل ١٩٩٢.

الجرجاني، علي بن محمد الشريف:

كتاب التعريفات، بيروت، مكتبة لبنان ١٩٨٥.

ابن حبيب:

المحبّر، حيدر آباد الدكن، دائرة المعارف العثمانية ١٩٤٢.

ابن حزم، الأندلسي:

الأخلاق والسِّير، بيروت، اللجنة الدولية لترجمة الروائع ١٩٦١.

www.mtenback.com

الحصري، إبراهيم بن علي:

زهر الآداب وثمر الألباب، القاهرة، عيسى الحلبي ١٩٦٩.

الخنساء:

ديوان الخنساء، دمشق، دار كرم د.ت.

ابن الرومي:

ديوان ابن الرومي، بيروت، دار مكتبة الهلال ١٩٩١.

الزمخشري، محمود بن عمر:

الكشّاف، بيروت، دار الكتاب العربي ١٩٨٦.

الزوزني، الحسين بن أحمد:

شرح المعلقات العشر، بيروت، مكتبة الحياة ١٩٨٣.

الشرنوبي، سعيد الخوري:

أقرب الموارد، بيروت، مكتبة لبنان ١٩٩٢.

الصابي:

غرس النعمة محمد بن هلال، تحقيق: صالح الأشتر، دمشق، مطبوعات مجمع اللغة العربية ١٩٦٧.

العبدي، أبو الحسن محمد بن عمران:

العفو والاعتذار، تحقيق: عبد القدوس أبو صالح، الرياض ١٩٨١.

أبو العتاهية:

ديوان أبي العتاهية، بيروت، دار بيروت ١٩٨٦.

عساف، الشيخ أحمد محمد:

بغية الطالبين، بيروت، دار إحياء العلوم د.ت.

www.mtenback.com

العسقلاني، ابن حجر:

الإصابة في تمييز الصحابة، بيروت، دار إحياء التراث د.ت.

الغزالي، أبو حامد:

إحياء علوم الدين، بيروت، دار القلم، د.ت.

الفيروز أبادي:

القاموس المحيط، بيروت، دار الجيل ١٩٥٢.

ابن قتيبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم:

- المعارف، تحقيق: ثروت عكاشة، القاهرة، دار المعارف، د.ت.
- عيون الأخبار، القاهرة، دار الكتب المصرية، ١٩٣٠.

قدامة بن جعفر:

نقد الشعر، ليدن ١٩٥٦.

ابن كثير:

تفسير ابن كثير، بيروت، دار الفكر ١٩٨١.

ابن ماجة:

سنن ابن ماجة، اسطنبول، المكتبة الإسلامية د.ت.

المبرد، أبو العباس محمد بن يزيد:

الكامل في اللغة والأدب، بيروت، مكتبة المعارف ١٣٨٦هـ.

المخزنجي، محمد:

البستان، الكويت، دار سعاد الصباح ١٩٩٢.

المسعودي، أبو الحسن علي بن الحسين، مروج الذهب ومعادن الجوهر، القاهرة، مطبعة السعادة ١٩٦٤.

مسكويه، أبو علي أحمد بن محمد:

www.mtenback.com

تهذيب الأخلاق، بيروت ١٩٦٦.

المقري، أحمد بن محمد:

حسن الثّنا في العفو عمّن جنى، مخطوطة مصورة د.ت.

ابن منظور:

لسان العرب، بيروت، دار صادر، ١٩٩٢.

الميداني، أبو الفضل أحمد بن محمد:

مجمع الأمثال، مطبعة السنة المحمدية ١٩٥٥.

النابغة الذبياني:

ديوان النابغة الذبياني، صنعة ابن السكيت، دمشق، دار الثقافة ١٩٦٨.

النابغة الجعدي:

شعر النابغة الجعدي، دمشق، المكتب الإسلامي، ١٣٨٤هـ.

ابن هشام:

السيرة النبوية، القاهرة، مطبعة بولاق ١٢٩٥هـ.

موقع الدكتور مرزوق بن تنباك
www.mtenback.com

www.mtenback.com

موقع الدكتور مرزوق بن تنباك
www.mtenback.com

www.mtenback.com

موقع الدكتور مرزوق بن تنباك
www.mtenback.com

www.mtenback.com

موقع الدكتور مرزوق بن تنباك
www.mtenback.com

www.mtenback.com